مجلة البيان
إهداء إلى مكتبة مشكاة الإسلامية

مجلة البيان ، السنة التاسعة ، العدد 85 ، رمضان 1415هـ / فبراير 1995م

كلمة صغيرة
. الحذر الحذر .

منذ سنوات يوم وقف مجاهدوا إريتريا يصارعون (الجبهة الشعبية النصرانية) حينئذ دعا كاتب مشهور الإريتريين قائلاً : (الاستقلال قبل الإسلام) مما فت في عضد الكثيرين - في الوقت الذي قام الغرب بدعم النصارى - فتشتت شمل المسلمين شذر مذر .. واليوم يقول الكاتب نفسه حيال حرب الشيشان : (الدعوة إلى الإسلام أهـم بكثير من دولة الإسلام) ، ونحن لا نشكك في نوايا الرجل ، لكن الأمور الأساسية لا مساومة عليها ، وإقامة دولة الإسلام هدف كما أن الدعوة إليه هدف ولا منافاة بينهما ، ثم من يحمي الدعوة إذا لم يكن لها دولة ؟ ! ولماذا لا يعمل لكلا الهدفين معاً ، لا سيما إذا عرفنا أن هناك فئات معارضة مشبوهة الاتجاه تدعم من روسيا وتريد الارتباط بها ؟ !

فلنحذر مثل تلك الآراء المتعجلة التي ربما أدت إلى المهالك ، وأعداؤنا مهما جاملناهم فلن يتغير موقفهم من عقيدتنا ، ومواقفهم من مفكري الإسلام ودعاته واضحة كالشمس بغضاً وكرهاً ومصادرة .

فنأخذ الإسلام كما جاء ، وليس كما يريده بعضهم أجزاء وأبعاضاً
والله المستعان ..

الافتتاحية
أمتنا ومرحلة الغثائية !

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين .. أما بعد ، ،

نتساءل -بكل براءة- ويتساءل معنا كل مسلم مخلص هل وصلت أمتنا العربية المسلمة إلى المرحلة الغثائية التي حذر منها الرسول الكريم -صلى الله عليه وسلم- بقوله : (يوشك أن تتداعى عليكم الأمم من كل أفق ، كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها ، قيل : يا رسول الله ، فمن قلة يومئذ ؟ قال : لا ، ولكنكم غثاء كغثاء السيل ، يجعل الوهن في قلوبكم وينزع الرعب من قلوب أعدائكم لحبكم الدنيا وكراهيتكم الموت) [1] .

نعم إن كثيراً من بني قومنا يخطبون اليوم ود (يهود) ، ويطالبون على أصعدة كثيرة بإعادة العلاقات معهم وتطبيعها والدعوة -بكل حماس- إلى إلغاء مقاطعتهم في سبيل إنشاء ما يسمى بـ (السوق الشرق أوسطية) ، وليست المسألة مجرد تنشيط الواقع الاقتصادي المتردي في كثير من البلدان ، فلوازم التطبيع أكبر من ذلك بكثير؛ فهناك التطبيع الثقافي الفكري ومن ثم إبعاد كل ما يعكر هذا التوجه ... ألم نسمع بسياسات تجفيف المنابع التي بدأت فيها بعض الدول العربية فغيرت المناهج وحذفت كل ما له علاقة بالتحذير من أعداء الإسلام ، وحذفت آيات الجهاد وتراجم الأبطال ، ولا ندري هل تصل محاولات الحذف إلى آيات القرآن والحديث ، الله أعلم ! ! .

والأعجب في هذه المرحلة أن يُوقَّفَ - بكل صفاقة - ضد كل المعارضين

لذلك التوجه ووصمهم بالتطرف والإرهاب ، وهذا ما وضحت بوادره في أكثر من بلد عربي ، فإلى الله المشتكى .

ويتواصل المد الغثائي في الأمة بمواقفها السلبية من كثير من قضايا المسلمين المغلوبين على أمرهم وبخاصة في البوسنة والهرسك ، نعم هناك إعلام يعمل ليل نهار لكشف خلفيات تلك المؤامرة القذرة التي يقوم بها الغرب والشرق ضد هذه القضية ، وهناك جهود إغاثية لمد المسلمين هناك بالدعم والمساعدة ، ولكن أين الموقف الشجاع ضد الصرب (الأرثوذكس المتعصبين) ؟ هل قام المسلمون جميعهم بتهديد الصرب - ولو بمجرد الكلام - أو بقطع العلاقات الدبلوماسية معهم وقطع العلاقات الاقتصادية أيضاً ؟ إن ذلك مع الأسف لم يحدث ! ، والأعجب أن تقوم الدول الغربية بمؤامراتها المكشوفة ضد مسلمي البوسنة والهرسك وتتواطأ معهم (هيئة الأمم) ومندوبوها المدنيون والعسكريون ، وحينما يتحدى الصرب كل جهودهم الهزيلة ويعرضون جنودهم للقتل غيلة ، لا يحركون ساكناً ، بل يقومون بذبح القضية بمخططات مشبوهة يقصد منها إرضاء الصرب وإعطاؤهم ما يريدونه على حساب هذه الدولة المسلمة ، ولا شك أن ذلك له خلفياته العقدية التي ترفض قيام كيان إسلامي في أوروبا .

ووجدنا (روسيا) الأرثوذكسية الحاقدة تقف ، مواقفها المكشوفة في البوسنة ، تقف ضد أي قرار لتأديب الصرب وفي الوقت نفسه تدعمهم بكل الطرق الممكنة خارقة بذلك الحصار الدولي الهش على الصرب ، وحينما كان التهاون هو موقف المسلمين بعامة حيال تلك الأعمال : لم تتردد روسيا في التدخل الدموي لإجهاض استقلال دولة الشيشان بأساليب همجية ، ولقد وقف مجاهدو الشيشان ضدها بكل بسالة وشجاعة ؛ مما أدى إلى الفشل الذريع الذي مني به الجيش الروسي والخسائر الفادحة التي تكبدها ، واستيقاظ الغرب مؤخراً على مخالفات (حقوق الإنسان) بدك (جروزني) بالصواريخ والقنابل المحرمة دولياً .

إن غثائية أمتنا تمثلت حينما عُقد (المؤتمر الإسلامي) وانتهى بغير أن يتطرق إلى هذه القضية لا من قريب ولا من بعيد ! ! وكأن لسان حالهم - ما هو رأي الغربيين - أن قضية الشيشان مسألة داخلية ، وهذا خطأ شنيع ارتكبه الغرب وتُوبع عليه ، مع أن حق الشعوب في تقرير مصيرها مسألة محسومة حسب مواثيقهم الدولية ، أكدتها مواثيق هيئة الأمم المتحدة في الفقرة (2) من المادة [1] ، وكذلك المادة (55) ، ثم جاءت البروتوكولات الخاصة بحقوق الإنسان لتؤكد أهمية ذلك .

والعجيب أن الغربيين قبل 20 عاماً -عند التوقيع على ميثاق (هلسنكي) - أصروا على أهمية حقوق الإنسان في الاتحاد السوفييتي التي كانت تعتبر شأناً داخلياً، لكن الغرب رفض ذلك الاعتبار بالإجماع ، وفي نهاية الحرب الباردة كانت أمريكا هي القائد أيضاً في مجال تأكيد تلك الالتزامات من خلال (ميثاق أوروبا الجديدة) الذي تم التوقيع عليه في مؤتمر قمة باريس عام 1990 ، وقد رفض الميثاق - كما فعل إعلان هلسنكي - اللجوء إلى القوة في حل النزاعات .

وروسيا - باعتبارها وريثة (الاتحاد السوفيتي البائد) - ملزمة بهذه القوانين الدولية التي تدوسها اليوم وتضرب بها عرض الحائط على مرأى ومسمع من الجميع .

إن حجة الغرب بأن أحداث الشيشان مسألة داخلية مغالطة وادعاء بلا دليل ، فقد سبق للغرب أن تدخل في شؤون (الاتحاد السوفيتي) السابق في مسألة مواقفه غير الإنسانية من الكتاب السوفيت المعارضين الذين ما إن يتحدث أحدهم بمعارضة الدولة حتى يضغط عليها ليخرج بسلام ، بل ويعطى جائزة نوبل ، وتدخل في

شؤونه أيضاً يوم منع هجرة اليهود لفلسطين المحتلة ، وتدخلت أمريكا في الصومال، ومؤخراً في (هايتي) ، وتدخلت فرنسا في (رواندا) ، وحتى يبقى الأمر مقبولاً تحول ببساطة إلى تدخل دولي ! !

أين إنسانية الغرب اليوم مما حدث في البوسنة وما يحدث اليوم في الشيشان ؟! لماذا يقال إنها مسألة (داخلية) ، وفي قضايا أخرى يتم التدخل ويحول إلى تدخل دولي بأساليب مكشوفة ؟ ! .

لماذا ضغط الغرب على الاتحاد السوفيتي حتى يمرر استقلال دول البلطيق ، ثم يسكت ويصاب بالصمم والعمى عن أحداث همجية تحدث في بلاد أخرى ؟ ! ، المسألة مسألة عقيدة ونعرات صليبية مهما استبعدها أدعياء التنوير .

وعليهم أن يعوا ما قاله صاحب (الفرصة السانحة) : (إن المصالح وليست المثاليات هي التي تدفع الدول إلى التعاون) .

إننا - وبكل صراحة - ندعو بني قومنا ساسة ومفكرين وإعلاميين وغيرهم إلى مراجعة سريعة لحال الأمة ، وأهمية الوقوف بكل شجاعة وتَبَنِّي الموقف الإسلامي وبكل جسارة مع الغرب والشرق ، وبخاصة في الموقف من القضايا الإسلامية ومحاسبتهم بدقة حيال الاستهتار الحاصل إزاءها ، وضرورة احترام الشعوب الإسلامية المغلوبة على أمرها وأهمية إعطائها حق تقرير مصيرها كغيرها.

ونحن نستقبل هذا الشهر الكريم الذي هو شهر عزة وكرامة وشهر جهاد وقوة جدير بنا أن نجعل منه منطلقاً لتصحيح أوضاعنا ولمحاسبة أنفسنا على ما فرطنا في جنب الله من أخطاء وخطايا جعلتنا إلى الغثائية أقرب .

إن هذا الشهر المبارك جدير بأن يشعل في أنفسنا روح الجهاد ، وأن يثير في جوانحنا فعل الخيرات وترك المنكرات وتكفير السيئات .

واللهَ نسأل - كما بلغنا هذا الشهر- أن يوفقنا لصيامه وقيامه ، وأن ينصر دينه ويعلي كلمته ، إنه على ذلك قدير وبالإجابة جدير .

---

(1) المسند للامام أحمد ج 5 ص 278 ، وأبو داود ج 4 ص 483 ، وصححه الألباني : صحيح سنن أبي داود ح / 3610 .

دراسات دعوية

الترف .. وخطره على الدعوة والدعاة [1]

فيصل البعداني

إن زينة الحياة الدنيا وشهواتها أخذت بألباب وعقول أفراد من الأمة حتى عبدوها وأصبحوا يرون في تعاليم الإسلام وأحكامه ما يفسد عليهم متعتهم بها فصاروا يحاربون تعاليم الإسلام والداعين إليه ، ويقفون في وجه كل دعوة جادة إلى الإسلام تريد إعادة الأمر إلى نصابه ، وتقوم ببيان خطر الاغترار بالدنيا ، منبهة إياهم إلى ما أحدثه من آثار سلبية كثيرة على دينهم ودنياهم .

وشباب الصحوة الإسلامية بعامة والدعاة إلى الله (سبحانه) بخاصة ، جزءٌ من أفراد المجتمع الإسلامي يصيب بعضهم - سواء أكان ذلك في حياتهم الشخصية والاجتماعية أو في البيئة الدعوية التي يعملون من خلالها - ما يوجد في مجتمعاتهم من أمراض وأدواء ، ومن ذلك وجود ظاهرة الترف والرفاهية الزائدة في حياة بعضهم ، وانشغالهم بذلك عن تربية أنفسهم والقيام بواجبهم تجاه دينهم وأمتهم ، بل إن الأمر لدى أولئك تجاوز حد التشاغل إلى مرحلة التساقط عن الطريق وترك

الطاعة ومبارزة الله (تعالى) بالمعاصي .

وهذه محاولة لمعالجة تلك الظاهرة ببيان حقيقتها ، وإيضاح موقف الشرع منها، وإبراز مظاهرها ، وتحليل أسبابها وبيان خطورتها وآثارها ، مع محاولة تقديم وصف لعلاجها ، عَلَّ الله (سبحانه وتعالى) أن يوفقنا إلى تلافيها وتجاوز آثارها .

حقيقة الترف :

جاء في القاموس : التُّرفة : النعمة والطعام الطيب ، والشيء الظريف تخص به صاحبك ، والمترف كمكرمَ : المتروك يصنع ما يشاء لا يمنع ، والمُتَنَعَّمُ لا يمنع من تنعمه [1] .

والمراد بالترف في هذا المقال : مجاوزة حد الاعتدال بنعمة أو الإكثار من النعم التي يحصل بها الترف [2]، وعليه فإن المترفين هم : الذين أبطرتهم النعمة وسعة العيش ، الحريصون على الزيادة في أحوالهم وعوائدهم ، الساعون إلى بلوغ الغاية في حاجات الذات الحسية من مأكل ومشرب ومسكن ومركب .. الخ ، ومع أن الترف قائم على الغنى ومبني عليه إلا أنه ليس بلازم له ، فكم من غني وهو بخيل، يعيش هو وأهله عيشة البؤساء والمعوزين ، وكم من فقير حرص على توفير النعم وتحصيل ملذات الحياة وشهواتها من أي سبيل ! !

موقف الإسلام من الترف :

ورد ذكر الترف في القرآن الكريم في ثمانية مواضع كلها في موضع الذم له والتحذير منه ، كما ورد العديد من الأحاديث النبوية التي ينهى بعضها عن الترف جملة وتحذر من تعلّق القلب به ، وغلو الإنسان في الانغماس في متع الحياة وملذاتها، وبعضها الآخر ينهى عن مظهر من مظاهر الترف ، ويحث على تركه والانصراف عنه إلى ما هو خير في الدارين .

فمن الآيات : قوله (تعالى) : ﴿ وإذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا القَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً ﴾ الإسراء : [16] ، وقوله (تعالى) : ﴿ حَتَّى إذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إذَا هُمْ يَجْأَرُونَ ﴾ [المؤمنون : 64] ، وقوله (سبحانه) : ﴿ وكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إلاَّ قَالَ مُتْرَفُوهَا إنَّا وجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وإنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ ﴾ [الزخرف : 23] .

ومن الأحاديث ما رواه عمرو بن عوف أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال (فوالله ما الفقر أخشى عليكم ، ولكني أخشى أن تبسط الدنيا عليكم كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها وتهلككم كما أهلكتهم) [3] ، وما رواه عبد الله بن عمرو أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال : (كلوا واشربوا وتصدقوا والبسوا ما لم يخالطه إسراف أو مخيلة) [4] .

ودعوة الإسلام إلى ترك الترف ، ومحاربته له ، لا تعني ترك النعم والملذات، وإنما المراد الاقتصاد في الإنفاق وعدم تعلق القلب بها والركون إليها ، وإلا فإن النبي -صلى الله عليه وسلم- الذي حذر من الترف وأحوال المترفين قد قال : (إن الله جميل يحب الجمال ، ويحب أن يرى أثر نعمته على عبده ويبغض البؤس والتباؤس) [5] وقال -صلى الله عليه وسلم- لوالد أبي الأحوص : (فإذا آتاك الله مالاً فليُرَ أثر نعمة الله عليك وكرامته) [6] ، وقد كان من دعائه -صلى الله عليه وسلم- : (اللهم أصلح لي دنياي التي فيها معاشي ، وأصلح لي آخرتي التي فيها معادي) [7] .

وأما قوله -صلى الله عليه وسلم- لأصحابه عندما ذكروا عنده الدنيا : (ألا تسمعون ، ألا تسمعون : إن البذاذة من الإيمان ، إن البذاذة من الإيمان !) [8] ، فالمراد به : التواضع في اللباس وترك التبجح به [9] ، وعدم غلو الشخص في

الاهتمام بمظهره حتى يشار إليه بالبنان .

مظاهرات الترف :

للترف مظاهر كثير ، من أبرزها ما يلي :

* الإفراط في تناول الطعام والشراب وتوفير متطلبات النفس مما لذ وطاب ، مما جعل الجم الغفير من الناس - دعاة وغيرهم - يعانون بسبب ذلك من السمنة وكثيرٍ من الأمراض الناشئة عن التخمة .

* جعل المال في الملابس الراقية ، والاكتفاء بلبس الجديد والفاخر ، حتى كثرت بسبب ذلك الملابس غير المستخدمة في المنازل ، وتكدست مع وجود تنوع في الاستعمال حسب تعدد فصول العام ، واختلاف أوقات اليوم ، ويبرز الترف في هذا الجانب لدى النساء .

* صرف الأموال الكثيرة في السيارات والحرص على ضخامتها وتعددها حسب أحجامها وأنواعها ، وتسليم بعضها لمراهقين يستخدمونها - غالباً - في غير ما وضعت له .

* صرف الأموال الضخمة في بناء المنازل والدور ، والتباهي في إعدادها وتصاميمها البديعة في الشكل الخارجي والداخلي ، مع الحرص على تعدد مواقعها فبعضها للشتاء والآخر للصيف ، وبعضها للسكن وبعضها للنزهة ، ومع الحرص على سعتها وكثرة غرفها ووجود ملحقات لها ووفرة وسائل الترفيه فيها مع أن الذي يكفي الإنسان من ذلك الشيء القليل .

* نعومة الأجساد وطراوتها وترهل الأطراف ونعومتها والتهاون أثناء أداء الأعمال مما أدى إلى أمراض حديثة ولدتها هذه الظواهر .

* الاستكثار من وسائل الزينة والاعتناء الزائد بالنفس ، والإفراط في التدهن والتطيب والترجيل للشعر ، ونحو ذلك من أمور الناس حتى إن بعضهم ليزيد إنفاقه على زينته وبعض مظاهر الترف الأخرى على دخله ، مما يضطره إلى الاقتراض أو إلى تعاطي أمور أخرى لا تحمد عقباها .

* جعل المال في الفرش الوثيرة والأواني الفاخرة والمتاع الراقي ، أو الإكثار من ذلك - وإن لم يكن الشيء غالي الثمن - كثرة تقصر معها أيام العمر وتأبى أن تتسع للعبد لكي ينتفع بها ويستخدمها .

* عدم قيام الإنسان بحاجاته الذاتية والاجتماعية التي يتمكن من القيام بها والمجيء بالخدم رجالاً ونساء ، لكي يقوموا بذلك من غير حاجة وإنما رغبة منه في ترفيه نفسه وتقديم الراحة لأهله وأولاده ، وحباً منه في التفاخر والتباهي والظهور بمظهر المتميز أمام بقية أفراد المجتمع .

* كثرة استخدام وسائل الترويح عن النفس من مزاح وألعاب ونزهة وزيارات كثيرة تخرج بالترويح عن الأمر الذي شرع له ، وتصبح في حياة كثير من الناس كأنها هي الأصل والجد هو الفرع .

* ضياع الأوقات وانتشار البطالة في حياة بعض من الدعاة والمصلحين ، حيث تكثر ساعات نومهم ويتتابع فناء أعمارهم دون أن يقضوا شيئاً منها في أمر ينفعهم في دينهم أو دنياهم .

* التعلق بالتوافه ، وضعف التفكير ، وغياب القدرة على النقد البناء ، وانتشار التقليد ، والتسرع في الحكم على الأشياء بناءً على ظواهرها ، وإمكانية التلاعب بالشخص واستدراجه إلى ما يراد من قبل الآخرين بيسر وسهولة وبدون عناء أو مشقة .

* عدم الحرص على الطاعة ، والتواني عن القيام بما يقِّرب في الآخرة سواء أكان ذلك فيما يتعلق بذات الشخص كصلاة النفل وصيام التطوع ، أو فيما يتعلق

بشؤون الدعوة ، إذ تكثر عند التنفيذ المشاغل وتتعدد المبررات للتقاعس عن العمل أو التأخر في أدائه ، وفي المقابل توجد - لدى ذلك الصنف - عجله في تحصيل وسائل الترف ، وسرعة في تحقيق مطلوبات النفس وشهواتها .

* تتبع أقوال أهل العلم للأخذ بالأيسر منها ، ويرجع ذلك إلى أن كثرة النعم تقود إلى الدعة والراحة ، وتلك تقود إلى اقتحام سبيل الشهوات والانغماس في الملذات ، التي قد لا يجد العبد متنفساً له فيما أحل الله فيقرر الأخذ بما يراه حراماً ، ولكن لكي يزيل الحرج عن نفسه ، ويدفع عنه لوم الآخرين - إن وجد - يقوم بتتبع أقوال أهل العلم في الأمر الذي قرر إتيانه إلى أن يجد له عالماً في القديم أو الحديث يقول بجواز فعله ، فيفرح به ويبدأ بإعلانه ونشره لا اعتقاداً بصحة ذلك القول والرغبة في إذاعته ، ولكن حباً في رفع الحرج عن النفس نظراً لموافقة ذلك القول لما قد عزمت نفسه على فعله .

أسباب الترف :

لانشغال بعض المنتسبين إلى الدعوة بالترف أسباب عديدة ، منها :

1- طول الأمل ونسيان الموت :

الانشغال بمتاع الدنيا وشهواتها ناتج عن طول الأمل ونسيان الإنسان كونه في رحلة إلى الدار الآخرة تكتمل بنزول ملك الموت لقبض الروح ، ونظراً لخطورة تلك الغفلة عن ذلك المصير وما تنتجه من ضعف الخوف من الله (تعالى) وقلة الخشية له ، وبالتالي عدم المحاسبة للنفس والمراقبة لعملها ، قال (عز رجل) محذراً من ذلك : ﴿ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا ويَتَمَتَّعُوا ويُلْهِهِمُ الأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ [الحجر : 3] ، وقال -صلى الله عليه وسلم- موصياً ابن عمر : (كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل) [10] ، (وذلك لأن الغريب لا تعلق له ببلد الغربة ، ولا تشاغل لديه بملذاتها وملهياتها ، بل قلبه معلق بوطنه الذي يرجع إليه) [11] (والمسافر لا هم له في الاستكثار من متاع الدنيا أثناء قطعه لمنازل السفر ، وإنما يكتفي بتحصيل زاد السفر له ولراحلته لا غير) [12] .

2- عدم موازنة الإنسان بين جوانبه المختلفة :

الانغماس في زهرة الحياة وبهارجها ناتج عن تغليب الإنسان لمتطلبات ، جسده من مأكل ومشرب وملبس ومركب ومسكن ووسائل ترويح ... الخ وإغفاله لمتطلبات مهمة أخرى من عقل وروح ، وعدم قيامه بالأخذ بالهدي النبوي الرشيد الداعي إلى الموازنة بين تلك الجوانب المختلفة ، روى البخاري أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال لعبد الله بن عمرو حين -علم بمغالاته في العبادة : (ألم أخبر أنك تصوم النهار وتقوم الليل ، فقلت : بلى يا رسول الله ، قال : فلا تفعل صم وأفطر ، وقم ونم ، فإن لجسدك عليك حقاً ، وإن لعينك عليك حقاً ، وإن لزوجك عليك حقاً ، وإن لزورك عليك حقاً) [13] .

وروى البخاري أيضاً (أن نفراً من أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم- سألوا عن عبادته فلما أخبروا كأنهم تقالوها ، وقالوا : أين نحن من النبي -صلى الله عليه وسلم- قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، فقال أحدهم : أما أنا فأصلي الليل أبداً ، وقال آخر : أنا أصوم الدهر ولا أفطر ، وقال آخر : أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً ، فجاء رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقال : أنتم الذين قلتم كذا وكذا ؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له ، لكني أصوم وأفطر ، وأصلي وأرقد ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني) [14] .

3- حب التقليد أو التأثر بضغوط الواقع :

يرغب بعض الدعاة في أن يكون ابن بيئته - كما يقولون - فيرى أنه لابد له من الظهور بالمظهر اللائق به مطعماً ومشرباً ومركباً ومسكناً وخدماً وترفيهاً

فيضطر لكي يصل إلى ذلك الهدف إلى تقليد المترفين في بيئته ممن لا خلاق لهم مباهاةً وتفاخراً وحباً في مساواتهم في أحوالهم ومعاشهم ، إن لم يصل به الأمر إلى حد الرغبة في التفوق عليهم وتجاوز ما هم فيه من ترف .

وهذا مرض داخلي يوجد لدى بعض الدعاة ، وقد يكون الأمر على العكس من ذلك فلا يوجد لدى ذلك الداعية رغبة ذاتية في الترف ، لكن أفراد مجتمعه الذي يعيش فيه من أقارب وأصحاب - ممن رفعوا شأن زخرف الحياة وصارت شهوات الدنيا وملذاتها في نظرهم قيمة يقاس الإنسان نجها ؛ فبمقدار ضخامة منزل الشخص وكثرة خدمه وعدد مراكبه وبذخه في مأكله ومشربه وملبسه : تكون مكانته ومنزلته - يدفعونه إلى ذلك دفعاً من خلال المطالبة بإلحاح شديد من قِبَلِ الأهل والأقارب بتوفير وسائل الترف ، أو من خلال النقد الجارح واللوم اللاَذعَ من الأصحاب على ما يسمونه بحرمان النفس من خيرات الله (تعالى) ونعمه التي لا تعد ولا تحصى ، بل إن المطالبة واللوم قد يصحبهما سوق العديد من المبررات التي يجدها الداعية تحت ضغط الواقع الشديد مقنعة نوعاً ما فتتغير نظرته شيئاً فشيئاً إلى أن تزول قناعاته السابقة فتتبدل حاله ، ويصبح في غالب أمره كسائر أفراد مجتمعه .

4- ضعف التربية :

من أبرز أسباب الترف ضعف التربية وضعف التوجيه الجاد والمناسب للشباب من قبل بعض المربين في كيفية التعامل مع فتنة الحياة الدنيا وزخرفها وما نتج عن ذلك من عدم تربية النشء على الجَلَدَ والخشونة بذريعة الخوف من انفراط اجتماع الطلاب حول المربي والخشية من انصرافهم عنه بالكلية !

5- كثرة المال ووفرة النعم :

زيادة المال ووجود النعم ووفرتها تكون أحياناً من أكبر دواعي الترف وأسبابه، وذلك لأن المال يعمي ويصم ، ويدعو إلى الركون والمتعة والراحة ويدفع صاحبه إلى البذخ والإنفاق في غير حاجة ، وقد أوضح الله (تعالى) في كتابه هذه الحقيقة في آيات ، منها قوله (تعالى) : ﴿ كَلاَّ إِنَّ الإنسَانَ لَيَطْغَى * أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى ﴾ [العلق : 6-7] ، ومن أجلى صور الطغيان وأوضحها البطر بالنعمة والإنفاق في غير حاجة ترفاً ومباهاة وحباً للظهور .

يقول (سبحانه) على لسان المترفين الذين أبطرتهم النعمة : ﴿ وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالاً وَأَوْلادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴾ [سبأ : 35] ، فكثرة الأموال قادتهم إلى الترف والبطر والكبر ، وتلك الأمور جرتهم إلى تكذيب الحق ، ورفض قبوله والإذعان له.

ويزداد تأثير كثرة المال ووفرة النعم على الإنسان وجره إلى الترف وغاية الرفاهية حين يكون مولوداً في النعم ، لم تمر به حالات بؤس ، ولم يعرف شدة البلاء ومعاناة الفقر ، بل جاءه المال وتوفرت لديه النعم بسهولة ويسر من دون ما كسب أو بذل جهد .

6- حب النفس للشهوات :

حبب الله (تعالى) للبشر زينة الحياة الدنيا وزخرفها ، فقال (سبحانه) : ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ... ﴾ [آل عمران : 14] ، وليست المشكلة في ذلك الحب الذي وضعه الله (تعالى) في القلوب ، بل إنه فطري وضروري لاستمرار الحياة والقيام بواجب الخلافة في الأرض ، ولكنها تكمن في تقديم حب تلك الأشياء على محبوبات الله (تعالى) ورسوله -صلى الله عليه وسلم- ، وما ينتج عن ذلك من التشاغل بها والركون إليها حتى يصير الإنسان كأنه مسترق لها لا يستطيع عمل ما يخالفها وإن كانت في ذلك سعادته ونجاحه ، وقد حذر الله (عز وجل) في كتابه عباده من تقديم حبهم لشهواتهم وملذاتهم على حبه (سبحانه) وحب رسوله -صلى الله عليه

وسلم- والعمل لدينه ، فقال (سبحانه) : ﴿ قُلْ إن كَانَ آبَاؤُكُمْ ﴾ إلى قوله (تعالى) : ﴿ وأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا ومَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ ورَسُولِهِ وجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ واللَّهُ لا يَهْدِي القَوْمَ الفَاسِقِينَ ﴾ [التوبة : 24] .

7- الإغراء بالوقوع في الشهوات :

يسعى أعداء الدين من يهود ونصارى وأذنابهم في أوساط المسلمين إلى إلهاء الأمة - وبخاصة شباب الصحوة المنتسبين منهم إلى الدعوة - بالشهوات وغمسها بالملذات لتلهو وتعبث حتى لا تفيق على ما يفعلون بها من محاولة طمس عقيدتها ، وعدم استعدادتها لمكانتها وكرامتها ، حيث أغرقوا أسواق المسلمين بوسائل الترف وفنون الملذات ، وزينوا ذلك في نفوسهم وبثوا لها الدعايات وأقنعوا الكثيرين بأنها دليل من أدلة الحضارة وعنوان من عناوين التقدم والتميز والرقي في المجتمع .

ولقد أفصح أولئك الأشرار عن نواياهم الخبيثة ؛ ومن ذلك ما جاء في البروتوكول السادس من (بروتوكولات حكماء صهيون) : (... سنشجع حب الترف المطلق ...) [15] ، وما جاء في البروتوكول الثالث عشر : (... سنلهيها - أي : الجماهير - أيضاً بأنواع شتى من الملاهي والألعاب ومزجيات للفراغ والمجامع العامة وهلم جرا ...) [16] .

هذه آثار الترف :

لتوجه بعض الدعاة إلى معيشة الترف آثار عامة وآثار خاصة بمسيرة الدعوة، سأتحدث أولاً عن آثار الترف العامة ، ثم أتبعها ثانياً بآثار الترف الخاصة وآثارها السيئة على مسيرة الدعوة .

من آثار الترف العامة :

* قلة العبادة والتكاسل عن الطاعة ونسيان الآخرة ، وذلك لأن القلب له حد لا يستطيع تجاوزه ، فمتى ملىء بشيء حتى فاض استحال ملؤه بغيره حتى يلقي صاحبه ما فيه أو ينقص منه ، والمترف قد ملأ قلبه أو كاد بِهَمّ الدنيا وتحصيل متعها وشهواتها ، فلم تجد العبادة وتذكر الآخرة المكان الكافي لهما في قلبه ، مما اضطر غالبها إلى الرحيل ، قال أبو حازم -رحمه الله- : (يسير الدنيا يشغل عن كثير الآخرة) [17] ، فإذا كان هذا حال اليسير من الدنيا فكيف بحال الكثير ؟ ! .

* جعل الإنسان نفسه عرضة لعبودية الهوى والشهوات ، ورد الحق والتكذيب به ، وقد أبان الله (تعالى) في كتابه أن الترف سبب لذلك في آيات عديدة ، منها : قوله (تعالى) : ﴿ واتَّبَعَ الَذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وكَانُوا مُجْرِمِينَ ﴾ [هود : 116]، وقوله (عز وجل) : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِن نَّذِيرٍ إلاَّ قَالَ مُتْرَفُوهَا إنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ ﴾ [سبأ : 34] ، وقوله (سبحانه) : ﴿ وذَرْنِي والْمُكَذِّبِينَ أُوْلِي النَّعْمَةِ ومَهِّلْهُمْ قَلِيلاً ﴾ [المزمل : 11]

* ضياع ساعات عمر الإنسان وأيامه في أمور إن لم تكن مع سيئاته فلن تكون مع حسناته بحال ، قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- محذراً من ذلك : (ما من ساعة تمر بابن آدم لم يذكر الله فيها إلا حسر عليها يوم القيامة) [18] ، ومما استحسن من كلام الحجاج قوله على المنبر : (إن امرءاً ذهب من عمره ساعة في غير ما خلق له لخليق أن تتطاول عليه حسراته) [19] .

* ضعف استشعار مراقبة الله (تعالى) للعبد وندرة محاسبته لنفسه ومراجعتها فيما تعمل ليعرف المرء ما له وما عليه فيتزود من الخيرات ويترك اقتراف ما لا يُقَرِّبُه من الله (تعالى) من آثام أو مباحات .

* زيغ بعض الناس وانحرافهم وخروجهم من عداد الصالحين نتيجة الإكثار من الملذات والشهوات المباحة أولاً ، ثم التوسع فيها حتى يخرجوا عن دائرة المباح

إلى دائرة المشتبه فيه ، ومع الزمن يقعون في المحرمات قليلاً قليلاً حتى يصلوا إلى مرحلة الهلكة وزيغان القلب ، وخروجه إلى دائرة الفسق إن لم يتجاوزها ، نسأل الله السلامة .

* العُجْب بالنفس والتكبر على الآخرين ، وهاتان الصفتان موجودتان لدى بعض الدعاة نتيجة عيشهم في أوساط النعيم ، ولكنهم لا يتمكنون - في الغالب - من الشعور بها إلا من أدام منهم النظر في حاله أو نبهه عليها آخر ممن وفقهم ربهم وصانهم من الوقوع فيها ، وذلك راجع إلى كونهما تبدءان في النفوس كخيط رفيع جداً لا يُرى ثم يكبر شيئاً فشيئاً حتى يبين ويتضح ، ويكون الداعية عند ذلك قد غفل وخف مبدأ محاسبته لنفسه .

* كسر قلوب الضعفاء وذوي الفقر والحاجة في المجتمع من جهة ، وتكون الحقد لديهم على ذوي اليسار والترف من جهة أخرى ، نتيجة ما يلاحظونه من وجود فوارق كبيرة في العيش والإنفاق بين طبقات المجتمع المختلفة ، وذلك من خلال المقارنة بين حال المترفين العابثين بالأموال اللاهين بالنعم ، الذين لا يعرفون فضل الخيرات وقيمتها ممن لا يقدمون معروفاً لمستحقيه ، وبين أحوالهم حين يرون أنفسهم لا يستطيعون الحصول على ضروريات الحياة وحاجياتها .

* عدم القدرة على تحمل المشقة والتجلد للشدائد والتأهب لمجيء الفتن وتقلب الأيام ، وذلك نتيجة عجز الإنسان وعدم تهيئته لنفسه وترويضه إياها على تحمل ذلك لو نزل به .

* ضياع الأموال والعبث بها في الترهات مما أدى إلى عجز بعض الناس عن القيام بالواجبات ، فكيف بالمستحبات ؟ بل إن الأمر قد وصل بأناس إلى الاقتراض للإنفاق على الملذات وما تشتهيه الأنفس .

* نجاح مخططات الكفار في إلهاء المسلمين بالترف والبذخ وما صاحب ذلك النجاح من ازدهار صناعاتهم لوسائل الترف التى يرسلونها إلى أوساط المسلمين ليلهوا بها ويترفهوا ، وينشغلوا عن قضاياهم الكبرى ، وهذا ملموس .

* قساوة القلب وغلظة الحس وثقل البدن مما يؤدي إلى نسيان العلم وزوال الفطنة والحرمان من متعة ، التطلع إلى ما وراء اللذة الآنية بالإضافة إلى الحرمان للنفس من متعه الاهتمامات الكبرى اللائقة بالدور العظيم للمسلم في هذه الحياة مع انشغال القلب عن التبصر بما يدور حوله للعبرة والعظة من ذلك نتيجة غرقه في لجة اللذائذ والشهوات [20] ، قال الشوكاني -رحمه الله- عند قوله (تعالى) : ﴿ إلاَّ قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وإنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ ﴾ : (وخصص المترفين تنبيهاً على أن التنعم هو سبب إهمال النظر) [21] .

* انتشار البطالة وظهور العجز والكسل وشيوع التواني عن أداء الأعمال النافعة بحيث يقوم بعضهم بإنجاز عمل يوم في أسبوع ، وإنجاز عمل أسبوع في شهر ، ... وهكذا ، ولخطورة هذا الأثر في حياة المسلم كان النبي -صلى الله عليه وسلم- يدعو فيقول : (اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل ...) [22] .

* ظهور السمنة لدى كثير من الناس وانتشار كثير من الأمراض الناتجة عن التخمة وقلة السعي والحركة .

وللحديث بقية ..

* * *

قطوف رمضانية

قال -صلى الله عليه وسلم- : (كل عمل ابن آدم له ، الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف ؛ يقول الله (عز وجل) إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به ؛ ترك شهوته وطعامه وشرابه من أجلي ، للصائم فرحتان : فرحة عند فطره ، وفرحة عند

لقاء ربه ، ولخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك) أخرجه البخاري ومسلم .

---

(1) القاموس المحيط ص 1026 .
(2) الترف للأستاذ / ناصر بن عمار ، ص 7 .
(3) مسلم 4/2274 ، ح 2961 .
(4) ابن ماجة 2/1192 ، ح 3605 ، وحسنه الألباني في صحيح الجامع 2 /830 ، ح 4505 .
(5) صححه الألباني في صحيح الجامع 1/359 ح 1742 ، وعزاه للبيهقي في الشعب عن أبي سعيد.
(6) أبو داود 4/3331 ح 4063 وصححه الألباني في صحيح الجامع 1/ 284 ح 1333 .
(7) مسلم 4/2087 ح 2720 .
(8) أبو داود 4/392 ح 4161 وصححه الألباني في صحيح أبي داود 2/ 784 ح 3507 .
(9) جامع الأصول 4 / 680 .
(10) البخاري مع الفتح 11/237 ح 6416 .
(11) جامع العلوم والحكم 2/378 .
(12) السابق 2/381 .
(13) البخاري مع الفتح 4/256 ح 1975 .
(14) السابق 59 ح 5063 .
(15) الخطر اليهود للتونسي 126 .
(16) السابق 151 .
(17) ذم الدنيا لابن أبي الدنيا 135 .
(18) حلية الأولياء 5/361 وحسنه الألباني في صحيح الجامع 2/997 ح 5720 .
(19) نصيحة الملوك للماوردي 17 .
(20) انظر الظلال 1/373 .
(21) فتح القدير 4/773 .
(22) مسلم 4/2079 ح 2706 .

دراسات شرعية

الصلة بين الأخلاق والعقيدة

د . جلال الدين محمد صالح

ترتبط الأخلاق بالعقيدة ارتباطاً وثيقاً يفوق حد التلاحم والتمازج ويستحيل معه تصور انفكاك إحداهما عن الأخرى بحيث يمتنع تخيل أخلاق مجردة عن العقيدة ، أو عقيدة مجردة عن الأخلاق ، مما يجعلنا نوقن أن كل الخصائص الأخلاقية المنحرفة هي - لا محالة - إفراز عقائد منحرفة ، بينما الأخلاق النبيلة تظل دليلاً ساطعاً على انبثاقها وانبعاثها من وحي عقيدة نقية نائية عن التحريف وإيحاءات القصور البشري ، وفي الوقت ذاته : توقن أن الأخلاق المنحرفة برهان على وجود الأخلاق المستقيمة كالنقود المزيفة تكون دليلاً على وجود النقود الصحيحة .

والسرد القرآني للقيم الأخلاقية يُعَضِّدُ هذه الرؤية ، ويبين بداهتها ونصاعتها لكل متأمل يتلو آيات القرآن بتدبر وتفكر ، حيث نجد نعوت الكمال الإنساني وخصال أخلاقه الحميدة محاطة بصفاء العقيدة ونقاء التصور ووضوح العبودية لله رب العالمين ، بينما تأتي مفردات الأخلاق الذميمة وموبقاتها مقرونة بالانحراف العقدي والتشوش الفكري والارتكاس في مفاهيم الشرك ؛ حيث : تقديس الأحجار والأشجار والأبقار والطواغيت ، والانحدار دوماً إلى ما دون المكانة الإنسانية ، فالشرك في حد ذاته صفة أخلاقية تستجمع كل الشرور ، وتتولد عنها كل الأخلاقيات الهابطة ، وكل السلوكيات المنحرفة ، لأنه منهج استكباري يستنكف صاحبه أن يكون عبداً لله ، وقد كان أول سلوك من هذا القبيل ما جاهر به إبليس أمام الله (سبحانه) ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إلاَّ إبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ

الكَافِرِينَ ﴾ [البقرة : 34] .
وهكذا أضحى الاستكبار على الله ، ومن ثم التعالي على عبادة قريناً للشرك ورديفاً له ، والذي تجلى في موقف إبليس مع الله (عز وجل) يتجلى لنا أيضاً في السلوكيات التي أبداها قوم نوح (عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام) معه حين جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم ، وأصروا واستكبروا استكبارا ، وبهذا النهج الأخلاقي بات المنحرفون يتواصون حتى صار من دأبهم توارث الاستكبار على الله والاستخفاف بالعباد وإرادة العلو والإفساد في الأرض ، وهو دأب تعرضه علينا آيات القرآن كلما صورت لنا واقعاً عقدياً منحرفاً تنعته بالطغيان تارة ، والاستكبار والعلو في الأرض تارة أخرى ﴿ اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴾ [النازعات : 17] ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا فِي الأَرْضِ وجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعاً ﴾ [القصص : من آية 4] ، ﴿ قَالَ الَذِينَ اسْتَكْبَرُوا إنَّا بِالَّذِي آمَنتُم بِهِ كَافِرُونَ ﴾ [الأعراف : 76] .
وكل هذه النعوت صفات أخلاقية مقيتة لا يمكن أن تكون إلا مع الانحراف العقدي والارتداد عن عبادة الله (سبحانه وتعالى) ، تتكاثر عنها كل الشناعات الأخلاقية من : قتل ، وهتك ، ونهب ، وظلم ، وإشاعة الفاحشة بين العباد ، ففي مجتمعات الكفر وأنظمة الشرك تسود الطبقية ، وتوطأ إنسانية الضعفاء ، وتسخر طاقاتهم لخدمة الطغيان واستكبار الملأ ، وفي مجتمعات الكفر والشرك تستشري الفاحشة بين الأفراد وتجد الحماية والرعاية ، فما فعل قوم لوط سوى ممارسة غير أخلاقية ساقطة ظهرت ونمت في ظل الانحراف العقدي حيث كان قوم لوط أول مجتمع كافر مارس هذه الفعلة القبيحة ، ونافح عنها وتعامل معها وكأنها خلق إنساني رفيع لا تستهجنه النفس البشرية ولا تأباه الفطرة السوية ، وفي مجتمعات الجاهلية استنساغ الناس وأد البنات ، واضطهاد الضعفاء ، وإكراه الإماء على البغاء ، وتعاطي الربا والقمار والتآزر على الباطل حتى قال شاعرهم : (من لا يظلم الناس يظلم) ، وشعارهم (انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً) (بالمعنى الجاهلي) *

السلوك الأخلاقي عند أهل الكتاب :

وأهل الكتاب - الذين كان الأجدر بهم أن يكون لهم فضل الإصلاح الأخلاقي بما استحفظوا من كتاب الله - فقدوا هذه الخاصية بما كسبت أيديهم من تحريف لما أوحي إليهم ونسيان لما ذكروا به ، فصاروا هم أشد ضلالاً وأعظم انحرافاً وأكثر من يسعى في الأرض فساداً .
فالتزييف اليهودي للتوراة كان وراء تشبع الروح اليهودية بسفاسف الأخلاق التي نالت من قداسة الأنبياء وطهارتهم حين رمتهم بسلوكيات لا تليق بهم ، متهمة نوحاً (عليه السلام) بالسكر ومضاجعة بناته ، ومتهمة داود (عليه السلام) بالافتتان بزوجة أحد قواده والتآمر عليه ، والتحريف اليهودي للتوراة كان وراء العقلية اليهودية في تأصيل أخلاقيات التزوير ، وطمس الحقائق ، وكتمانها ﴿ الَذِينَ آتَيْنَاهُمُ الكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وإنَّ فَرِيقاً مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الحَقَّ وهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : 146] .
والتحريف اليهودي للتوراة كان وراء استباحة اليهود لأموال غيرهم وشعورهم بالتميز العرقي على الآخرين تأسيساً على اعتقاد كاذب ، يزعم أنهم أبناء الله وأحباؤه ، وأن كل من سواهم حمير خلقوا لخدمتهم ، من هنا صار اليهود رسل الفساد يسيحون في الأرض بنظرياتهم السلوكية المدمرة ، التي تدعو علناً إلى الانسلاخ من كل ما له صلة بأخلاقيات الطهر والعفاف ، وساهمت أقلامهم وأدمغتهم في ابتداع وسائل غير أخلاقية شريرة ، فأوجدوا أندية العراة ، وشواطئ الانحلال والتفسخ الأخلاقي ، وبنوك النهب والاستغلال ، وساندوا نمو الدعوات الساعية إلى خنق كل سلوك أخلاقي يصون كرامة الإنسان ويعصمه من المنحدر الحيواني ،

وأخذوا على أنفسهم أينما وجدوا ألا يدخروا وسعاً في تفريغ الذات البشرية من كل إيمان يُعمق في أحشائها أخلاقيات التزكي والتطهر ، إدراكاً منهم أن الانحراف العقدي والفراغ الديني أفضل مناخ مناسب لتزايد الانحراف الأخلاقي ، لهذه الغاية كان اندساس اليهود في الكيان النصراني ، وإعمال يد التحريف في العقيدة النصرانية على يد شاؤول المعروف عند النصارى (ببولس الرسول) مما نجم عنه تحول المجتمعات النصرانية إلى مجتمعات الضلال الأخلاقي حيث تعفنت أديرة الرهبان وكهوفهم بكل القاذورات الأخلاقية ، وبهذا : لم يعد مجتمع النصارى صالحاً لأن يكون مصدر إشعاع أخلاقي يتحقق به خلاص النفس الإنسانية وسعادتها ، فالإنجيل المحرف بما تضمنه من معتقدات ساذجة وباطلة دفع معتنقيه إلى نبذه وإدارة الظهر له ، والانطلاق في الحياة بلا قيود أخلاقية ، والاستعاضة عنه بأخلاق وضعية هي أخلاق الرأسمالية الأوربية والاشتراكية الماركسية .

الرأسمالية والأخلاق :

والأخلاق الرأسمالية هي نتاج طبيعي للواقع العقدي المنحرف ، ولذا جاءت هذه الأخلاق أشد فتكاً بالإنسان وأكثر تهديداً له ، وإنها مهما بدت ملاذاً آمناً فلن تكون حلاً للمعضلة الأخلاقية التي تلوي اليوم عنق أوروبا ، لأنها هي في حد ذاتها جزء من المشكلة التي جاءت لحلها ، ولأنها تسير على النهج الانحرافي نفسه ؛ يروي الأستاذ (محمد قطب) عن شقيقه (سيد) (رحمه الله) أنه أثناء زيارته لأمريكا كان ذات مرة جالساً في حديقة فاقترب منه رجل أبيض ، وسأله : من أين أنت ؟ فأجاب سيد (رحمه الله) : من مصر ، فرد عليه قائلاً : إذن أنت مسلم ، قال : نعم ، قال : إذن حدثني عن الإسلام ، فأخذ سيد (رحمه الله) يحدثه عن الإسلام ، والرجل منصت باهتمام حتى أنهى سيد حديثه ، عندها قال الرجل : جميل ما قُلته ولكن الدولار هو الإله الوحيد الذي أعرفه ! ! .

هكذا حولت الرأسمالية الإنسان إلى عبادة إله جديد هو الدولار ، فزادته تعاسة على تعاسة ، قال : -صلى الله عليه وسلم- (تعس عبد الدرهم تعس عبد الدينار ..)، ولقد ديست كل المكارم الأخلاقية فاختفت عن الوجود الفعلي بقايا الأخلاق الربانية المتناثرة في صفحات الإنجيل المحرف مغمورة بما يعرف (بأخلاق النتائج) وأصبح الرأسمالي لا يرى حرجاً من إبادة شعوب وأمم بأكملها كما فعل بالهنود الحمر بحثاً عن الذهب الأصفر ، وكما فعل مع سكان مستعمراته في إفريقيا حيث اقتاد منهم الألوف - بعد أن نهب خيرات أوطانهم - مكبلين بالأغلال في الأعناق والأيدي والأقدام استغلالاً لسواعدهم وقوة أجسامهم في استثمار اقتصادي لا يعود نفعه إلا إلى الرأسمالي ذاته ، ثم من وحي أخلاقه الرأسمالية اعتمد معيار اللون والثراء في التفاضل ؛ فالنازية في ألمانيا ، جعلت العرق الآري أفضل من وجد على الأرض ، والرجل الأبيض عموماً في أوروبا وأمريكا وأفريقيا مارس أخلاقيات التفريق العنصري ، واصطفى ذاته لتكون في القمة ، واضطهد السود -لمجرد أنهم سود - في أمريكا ، وحتى وقت قريب في جنوب إفريقيا ، ولم تنعتق هذه الشعوب من قبضته واضطهاداته إلا عبر تضحيات باهظة التكاليف ونضالات عنيدة ومتواصلة حتى انتزعت من بين فكيه شيئاً من حقوقها ، ثم في تناقض صارخ كثيراً ما نسمع ضجيجه عن حقوق الإنسان ، مصاغة وفق اختياراته واستحساناته ، منطلقة من جذور عقائد محرفة ، وأهواء قاصرة ، وأخلاقيات نفعية ، تساير الظلم وتسانده إذا ما رأت فيه مبتغاها .

إن مفردات العدالة والحرية والإنسانية ، تعدم محتواها الأخلاقي الرباني عندما تُحشى بمحتويات المفاهيم الرأسمالية المتمخضة عن مصالح الرجل الأبيض ، والهائمة وراء عبادة الدولار ! الذي أوحى إلى عابديه إباحة كل الشناعات الأخلاقية

قرباناً له ، فلا حرج في وحي ذلك الإله المزعوم أن يعبد في محراب القمار وبنوك الربا وأسواق الاستغلال ومواخير الفساد والانحلال الخلقي ، ولا بأس من أن يتقرب إليه عابدوه بأخلاقيات الظلم والغش والاحتكار ، والعبث بإنسانية الإنسان بسن تشريعات لا أخلاقية بهيمية تعقد لها المؤتمرات وتنفق عليها الأموال كالمؤتمر السكاني الأخير ، ليقر بنود وثيقة تقدمت بها هيئة الأمم المتحدة وتضمنت أقبح الفظائع الأخلاقية ، ومن أبرز ما فيها : -

1- إباحة الإجهاض لكل الأعمار .
2- الحرية الجنسية للمراهقين والأطفال حرية مطلقة .
3- حق المراهقين في أن تكون لهم حياة خاصة ومعلومات سرية لا تنتهك حتى من الوالدين ..
4- يعاون المراهقون والأطفال على احترام الحقوق السابقة من الحكومات ومن المؤسسات الأخرى ، وعلى الوالدين احترام حقوق هؤلاء .

وهذا غاية الإفساد في الأرض الذي يتم بدعم من القوى الرأسمالية وهيمنتها التي يراد من البشرية أن تَرِد معاطنه وترتوي من مستنقعاته الآسنة ، وهو شقاء أخلاقي سبق أن سلب الإنسان الأوربي سعادته وألجأه إلى نمط أخلاقي آخر هو نمط الأخلاق الاشتراكية ، نمط نكد لا يخرج إلا ما كان نكداً ، يستمد كل تنظيراته الأخلاقية في شتى جوانبه الحياتية من أصوله الإلحادية ، ويقرر أن سعادة الإنسان تكمن في أخلاقيات الصراع الطبقي التي تدفع به - حسب زعمهم - إلى حياة الرفاة والرغد في مجتمع شيوعي تغيب عنه الدولة وتختفي فيه شارات الشرطة ويحكمه قانون (من كل حسب طاقته ولكل حسب حاجته) ، وهو نهج يرفض في نظمه الأخلاقية كل سلوك يعيق تقدمه أياً كان مصدره وينعته بالأخلاق البرجوازية ، وقبح الشيء وحسنه يتحدد فقط بالنظر إلى مردوده على طبقة البروليتاريا على حد تعبيرهم .

وانطلاقاً من هذه النظرة سلك القادة الشيوعيون كل شعاب السلوكيات المتردية فأشاعوا حالة الخوف الدائم ، وأفسدوا بالمرتبات الكبيرة والامتيازات رجال الجيش والبوليس والأجهزة السياسية والأفراد المطيعيين من طبقة المثقفين ، وأسكتوا قمعاً كل صوت مقاوم .

وفي كتاب مدرسي عن الأخلاق الماركسية معد للمدارس الثانوية في المجر سنة 1978 م ، يقول : (إن الطفل ابناً كان أو بنتاً لا يصح بحال أن يُقدم على قتل أمه إلا إذا أصبحت خائنة للطبقة العاملة ..) [1] .

وخيانة الطبقة العاملة هي إبداء النقد لسلوكيات الفكر الاشتراكي وأئمته أو التعامل معه بشيء من الحذر والحيطة ، والأمانة الأخلاقية في زعمهم هي الفناء في شخصية القيادة الماركسية ، والدينونة لمقولاتها ، وتكريس عبادتها ، ولعلنا لاحظنا جميعاً كيف أن الشعب الكوري الشمالي أحتشد حول صنم الزعيم الكوري غداة هلاكه ساجداً راكعاً ، بل إن من الحجارة من اكتسب شيئاً من القداسة في كوريا لكونه حظى بجلسة من رائد الفكر الاشتراكي الكوري ؛ ففي تابوت زجاجي بساحات أحد المصانع بكوريا الشمالية عرض حجر بداخله ، ومكتوب عليه هذه العبارة : (الحجر الذي جلس عليه الرفيق الحبيب المبجل عندما كان يتحدث) [2] ، ومن البداهة أن تعلن هذه المعتقدات كسادها ، وتترك اللاهثين خلفها في العراء حيارى وقد خلت أفئدتهم من كل معتقد صحيح وخلق رفيع ، ذلك ما كان من النمط الاشتراكي البديل للنمط الرأسمالي على يد (جورباتشوف) في أطروحته المعروفة (بالبيرسترويكا) ، ولم يكن هذا الإعلان انتصاراً للنقيض الرأسمالي بقدر ما كان تأكيداً لتخبط أهل الكتاب ، وعجزهم عن انتشال البشرية من ورطتها وتخليصها من

مأزقها بتقديم أخلاقيات وضعية يزعمون أنها تسعد حياتها وتعظم إنسانيتها .
إنه انتصار فقط للعقيدة الإلهية الداعية إلى عبادة الله وحده ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ ولا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً ولا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران : 64] .

الأخلاقيات في الإسلام :

إنه انتصار للإسلام الذي ينطلق في إصلاحاته الأخلاقية من حقيقة العبودية لله (عز وجل) ، فطرة الله التي فطر الناس عليها - وهي حقيقة لا يضارعه فيها أحد ، وقد تميز بها عن غيره - فيثير في النفس الإنسانية مكامن التدين ويوقظ فيها مواطن الفطرة ، ومعاقل الإيمان ويعتقها من الخضوع لغير الله حتى إذا ما تخلصت من الشرك وشوائبه ، وأيقنت أن الوحيين هما مصدر التلقي وهما مصدر التحليل والتحريم ، انساقت دونما تلعثم أو تعثر لأخلاقيات الدين ، فيضبط مسار حياتها ، ويوجه حركاتها وسكناتها .

وهذا النهج نراه في دعوة نبينا محمد -صلى الله عليه وسلم- ، ونراه في دعوة من قبله من الأنبياء ، فقد كان الإصلاح النبوي في الرسالات السماوية يتوجه قبل كل شيء إلى تمكين مفاهيم العقيدة الصحيحة وتصويبها أولاً ليعقبها بعد ذلك تلقائياً تلقي أخلاقيات الإسلام والانصياع لها بنفس ملؤها الرضى والاطمئنان كما كان ذلك من جيل الصحابة (رضوان الله عليهم) لحظة تحريم الخمر ، فالنهي عن كل خلق مشين لا يمكن أن يؤتي ثماره مالم يُسْبَق سلفاً بتعميق العبودية لله (تعالى) وتثبيتها في الوجدان ، لذا ، نلاحظ التوجيه الرباني في القرآن الكريم يجعل مسألة تصحيح الانحراف العقدي والبراءة من الشرك في مستهل الأخلاقيات الضرورية التي يلزم التعهد بالتزامها عند إرادة الانضمام إلى مجتمع الإسلام ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ المُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَن لاَّ يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئاً ولا يَسْرِقْنَ ولا يَزْنِينَ ولا يَقْتُلْنَ أَوْلادَهُنَّ ولا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وأَرْجُلِهِنَّ ولا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ واسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الممتحنة : 12] .

ولا يفصل الإسلام تقريراته الأخلاقية عن قضية العبودية لله رب العالمين ، لتنال عظمتها وقدسيتها من عظمة هذه القضية ﴿ وقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً ﴾ [الإسراء : 23] .

فالخصائص الأخلاقية الحميدة التي تضمنتها سورة الإسراء من : طاعة الأبوين ، وإقامة المكيال والميزان بالقسط ، والبعد عن : الإسراف والتقتير ، والقتل، والزنا ، وأكل مال اليتيم ، والتقول على الناس ، والسير خيلاءً ومرحاً ، وما أمرت به من الوفاء بالعهد ، هي نموذج لكثير من الآيات القرآنية التي تعالج قضايا الأخلاق الاجتماعية والسياسية والاقتصادية في إطار العقيدة ، وهي خصائص تتعرى عن قيمتها الأخلاقية إذا أقصيت عن محيطها العقدي ، أو طرحت في قوالب عادية ، أو قدمت ضمن توجيهات دين محرف ، وتضعف هذه المعاني الأخلاقية في النفس تبعاً للوهن الذي يعتري العقيدة (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن) .

ولهذا كان من أخلاقيات النفاق - كما ورد في السنة - : الكذب في الحديث ، والإخلاف في الوعد ، والخيانة في الأمانة ، والغدر في العهد ، والفجور في الخصومة ، كما أن الفِرَق المبتدعة التي انحرفت عن مسار أهل السنة والجماعة تنفرج عندها زاوية الانحراف الأخلاقي بقدر انحرافها عن منهج العقيدة الصحيحة ، ففي التصوف المنحرف نجد الوله بالمردان ، والافتراء على الله ورسوله ، وفي منهج الرفض يتضخم التدين بازدراء الصحابة ، ويتبوأ التخلق بأخلاقيات الكذب باسم التقية مكاناً علياً ، كما أن كل أموال الناس - بزعم استحقاق الخمس - يعد من

صميم المعتقد الرافضي ، وعلى قسط من هذه الأخلاقيات ينطوي التوجه الخارجي القائم على قتل أهل الإسلام ، وترك أهل الأوثان .

وفقه الأخلاق ينبغي أن يكون على ضوء الكتاب والسنة الصحيحة ، حيث يثير في النفس مكامن الدين ويوقظ فيها مواطن الفطرة ويجعل خضوعها لله وحده ، وذلك كله ضروري لنجاح مسيرتنا الدعوية ، وأهدافنا الإصلاحية ، وإن أي توجه دعوي لا يعي هذه الحقائق ولا يوليها اهتماماته حري به أن يعيد النظر في مفاهيمه.

والله الموفق ...

---

(1) انظر علي عزت بيكفوتش : الإسلام بين الشرق والغرب / 206 بتصرف .
(2) انظر علي عزت بيكفوتش : الإسلام بين الشرق والغرب / 207 * أخرج البخاري عن أنس (رضي الله عنه) : قال : قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- (أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً ، فقال رجل : يا رسول الله أنصره اذا كان مظلوماً أفرأيت إذا كان ظالماً ، كيف أنصره ؟ ، قال : تحجزه أو تمنعه من الظلم ، فإن ذلك نصره) البخاري كتاب الإكراه ، ج 8 ، ص 59
- البيان - .

مقال

السلم والقتال في الإسلام
قراءة دلالية وشرعية واصطلاحية

كمال السعيد حبيب

المدخل اللغوي :

لا تمثل اللغة مجرد قالب شكلي تصب فيه الألفاظ ، ولكنها تعبير حضاري للتفاهم بين أفراد أمة ، ولذا : فإن للألفاظ ومعانيها دلالات حضارية تعكس رؤية الحضارة التي أنتجت هذه الكلمات للكون وللذات وللآخر ، ولذا : فإن التحليل اللغوي يمثل أحد المداخل الهامة لمعرفة موقف حضارة (ما) من بعض القضايا وكيف تصورتها وفكرت فيها وعبرت عنها ، والأداة الرئيسة لمعرفة ذلك ستكون (القواميس اللغوية) كما يمكن تتبع التطور اللغوي للمصطلح إذ قد تتطور دلالته اللغوية إلى تعبيرات أخرى تتجاوز مجرد الوضع الأول له ، وهو ما يعرف بـ (الدلالة العرفية) ، وحتى تتكامل الرؤية فإن مصدراً آخر يجب على الباحث تعقبه حتى تكتمل الصورة لديه ، ذلكم هو كيف تم التعبير عن هذه الكلمة في القرآن الكريم والسنة المطهرة وهو ما يعرف باسم (الدلالة الشرعية) ، ونحن سنقتصر في هذه الدراسة على البحث اللغوي في القواميس والبحث الشرعي في القرآن الكريم ، والبحث الاصطلاحي .

أولاً : الدلالات اللغوية لكلمة (السلم) :

بمراجعة لسان العرب فإننا نجد أن المعاني ودلالتها لكلمة السلم تتمحور حول الآتي :

1- علامة المسالمة - أي ظهور بوادر لغياب الحرب أو توقفها - فالجنود لا يزالون في الميدان ، والقادة مقبلون على ترتيبات السلام التي قد لا تصل إلى نهايتها صُلْحاً فتبقى حالة الحرب قائمة .

2- الصلح بين جماعتين ففي كتابه -صلى الله عليه وسلم- بين المهاجرين والأنصار حين مقدمه المدينة نص على : (وإن سلْم المؤمنين واحد لا يسالم مؤمن دون مؤمن) [*] أي لا يصالح واحد دون أصحابه ، وانما يقع الصلح بينهم وبين عدوهم باجتماع مَلَئهم على ذلك .

3- الحياد بمعنى عدم وجود تعامل أو علاقة بين طرفين كما في قوله (تعالى)

﴿ وإذَا خَاطَبَهُمُ الجَاهِلُونَ قَالُوا سَلاماً ﴾ [الفرقان : 63] أي : لا خير بيننا وبينكم ولا شر ، وليس السلام هنا هُو المستعمل في التحية .

4- الاستسلام وإظهار الخضوع والانقياد والرضا بالأحكام ، وتلك هي حالة الهزيمة التي يفرضها الغالب على المغلوب .

أي : إن مدلول السلم في اللغة يتضمن أربعة مستويات تبدأ بما يطلق عليه في العلاقات الدولية (الإشارات والرموز) التي يتبادلها أطراف الصراع التي تعكس تطور إدراكهم بعدم جدوى الاستمرار في الحرب ، وتنتهي بحالة الاستسلام والهزيمة التي لا إرادة للمغلوب فيها مع الغالب ، ويبقى موقف الحياد الذي يعني عدم التعامل ، والصلح الذي يعني انخراط طرفي الصراع في ترتيبات تحقق مصلحة الطرفين ؛ لا يختفي في هذه الترتيبات التنازع ومحاولة كل طرف أن يحقق أكبر قدر من المكاسب ، وهو ما يطلق عليه في العلاقات الدولية (الصراع التفاوضي) ؛ واذا كان (كلاوزنتر) قد قال : (إن الحرب هي السياسة بوسائل أخرى) فإن الصلح والتفاوض هما الحرب بوسائل أخرى ، ففي رحلة الصلح ورغم توقف القتال والأعمال العسكرية إلا أن الصراع لم ينته بعد ، ومن الواضح في حالة الصلح وجود إرادتين متساويتين تتنازعان للحصول على أكبر قدر من المكاسب ؛ ولذا : فإن وثيقة المدينة التي صاغها النبي بين المهاجرين والأنصار وبينهم وبين اليهود أكدت على أنه لا يجوز لجماعة أو فئة أن تقرر السلم والصلح دون بقية الأمة، فقرار السلم قرار جماعي ليكون مُتَأكَداً أنه في صالح الأمة ، ولكي يكون مسؤولية كل أفراد الأمة فهو حالة مصيرية كحالة الحرب تماماً لا يجوز لفئة أن تنفرد به دون بقية المسلمين* .

ثانياً : الدلالة الشرعية لكلمة السلم :

وردت كلمة (السلم) في القرآن الكريم في مواضع متعددة وبمعان متعددة :

1- الاستسلام ، كما في قوله (تعالى) : ﴿ قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إلَى قَوْمٍ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ﴾ [الفتح : 16] أي : يدخلون في الإسلام ويلتزمون أحكام شريعته .

2- الهدنة وعدم الرغبة في القتال ، كما في قوله (تعالى) : ﴿ فَلا تَهِنُوا وتَدْعُوا إلَى السَّلْمِ وأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ واللَّهُ مَعَكُمْ ولَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ ﴾ [محمد : 35] فهنا قطاع من المؤمنين يرغبون في السلام والمهادنة مع الأعداء ؛ لأن القتال يهدر الدماء أو لأنهم جبناء ، كما وردت عن الهدنة من جانب الأعداء ، كما في قوله (تعالى) : ﴿ وإن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ﴾ [الأنفال : 61] .

3- ووردت أيضاً بمعنى الكف والصلح ، كما في قوله (تعالى) : ﴿ فَإنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وأَلْقَوْا إلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلاً ﴾ [النساء : 90] فهؤلاء لم يتعرضوا لحركة المسلمين بالدعوة في الجزيرة العربية وتركوهم يتحركون دون أن يتعرضوا لهم ، فهنا لا ينبغي للمسلمين أن يتعرضوا لهم لأن السلم قاعدة لكي يبقى الجهاد ماضياً .

4- ووردت بمعنى كونها قرينة على الإسلام في قوله (تعالى) : ﴿ ولا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إلَيْكُمُ السَّلامَ لَسْتَ مُؤْمِناً ﴾ [النساء : 94] أي : قال السلام عليكم ، وهو يدل على إسلامه ظاهراً .

وفي الاصطلاح الشرعي فإن السلم يعني مصالحة المسلمين للكافرين على تأخير الجهاد إلى أمد معين لضرورة أو مصلحة (ويطلق عليها المسالمة والموادعة).

أي إن السلم في التصور الفقهي الشرعي هو حالة استثنائية لا يتوقف فيها الاستعداد للجهاد ؛ وإنما فقط للضرورة ، أي لأن المسلمين ليس لهم قوة أو لأن للمسلمين مصلحة في ذلك كتحييد بعض القوى ، وهذا التصور مبني على أن العالم

ينقسم إلى قسمين : دار الإسلام ودار الحرب ، وأن دار الحرب مقصودة دائماً بالقتال من جانب المسلمين حتى تدخل في الإسلام أو حتى تقبل نظامه وتلتزم أحكام ملته ، فالأصل في هذا التصور هو أن العلاقة بين الدولة الإسلامية والعالم هي علاقة حرب دائمة ما لم توجد مصلحة أو ضرورة .

ثالثاً : الدلالات اللغوية لكلمة القتال :

1- هي الحرب بين طرفين أو قوتين .

2- الدعاء باللعن والخروج من رحمة الله على الأعداء ، كما في قوله (تعالى): ﴿ قُتِلَ الإنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ﴾ [عبس : 17] ، أي : لُعِن ، وقوله -صلى الله عليه وسلم- : (قاتل الله اليهود) أي لعنهم وعاداهم ، أي : إن الدعاء على العدو هو ممارسة قتالية إذ لم يكن بالوسع مواجهته في الميدان إما لعدم الاستعداد العسكري أو لعدم القدرة إلى النفاذ إليه لأن الحواجز تحول دون ذلك ، كمنع المشاركة في المعارك ضد المسلمين بالبوسنة وفلسطين ، فالدعاء يعني استحضار حالة القتال في النفس دائماً .

3- الاستبعاد والإهمال كما في الحديث (من دعا إلى إمارة نفسه أو غيره من المسلمين فاقتلوه) أي اجعلوه كمن قتل أو مات بأن لا تقبلوا له قولاً ولا تقيموا له دعوة ؛ فالإهمال والمقاطعة والاستبعاد كممارسة جماعية لمن يريد أن يضر بالمسلمين داخلياً أو خارجياً هو تعبير قتالي يميت العدو وينفيه من الحضور في واقع المسلمين وفي أنفسهم ، أي : إن هناك بعداً معنوياً ونفسياً في القتال ، فحياة العدو تتمثل في قبوله وحضوره على المستوى النفسي ، وموته يتمثل في لفظه وعداوته واهماله واستبعاده .

4- تحقق أمنية للنفس طال انتظارها ، فنقول (قتل غليله أي سقاه فزال غليله بالرِّي) أي : إن التعلق بالأهداف الإسلامية للأمة ومحاولة بعثها وإحيائها هو ممارسة قتالية ، فإذا لم يكن لدى المسلمين قوة تحقيقها في عالم الشهود الخارجي فلا أقل من تمثلها في عالم الاستبعاد الداخلي ، فدوام تمثلها واستحضارها هو مرحلة نحو تحويلها إلى حقيقة واقعة ..

5- الخبرة والتجربة والممارسة والسياسة فنقول رَجُل مُقَتّل أي مجرِّب للأمور ويُقال ناقة مُقتِّلة ، أي : مذللة لعمل من الأعمال فقد روِّضت على ذلك واعتادت عليه ، وهذا هو الجانب التربوي للقتال فإن تحطيم أهواء النفس وفسادها وامتناعها حتى تستحيل خلفاً صالحاً قابلاً للطاعة والخضوع ، وتَقَبُّل ما تكره والرضا به ، وسرعة التلبية والطاعة حتى فيما تكره النفس وهذا هو ما يمكن أن نطلق عليه (روح الجندية) .

أي : إن مدلول القتال في اللغة يتضمن مستويات عدة : تبدأ باستحضار أمنيات الأمة في النفس ، وتنتهي بالانخراط في قتال عضوي ضد العدو في ميدان الحرب ، ويتوسط ذلك مستويات عدة من الممارسات تجاه النفس وتجاه العدو ، ولا يمكن لأمة أن تنتصر في معركة حربية مع العدو وهي لم تمارس مستويات القتال الأخرى على المستوى النفسي والتربوي ؛ لذا فإن ظهور ما يسمى بالحرب النفسية التي توجه في الأساس إلى إدراك الخصم وعقله ونفسه له ما يبرره ، وتستطيع القول بأن الهزيمة النفسية لا يمكن أن تقود إلى نصر عسكري مهما كانت الأمة متسلحة بالعتاد ، فالجانب النفسي الإدراكي في القتال كما يقول ابن خلدون : هو أساس النصر أو الهزيمة .

رابعاً : الدلالات الشرعية لكلمة القتال :

لقد ورد مصطلح القتال في القرآن الكريم في مواضع كثيرة وبأشكال متعددة ، فقد قال (تعالى) : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ القِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ﴾ [البقرة : من 216] أي :

فُرِض ، كما ورد في قوله (تعالى) : يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ [البقرة : من الآية 217] كما ورد في قوله (تعالى) : وإذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ المُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ [آل عمران : من الآية 121] م وقوله (تعالى): فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ القِتَالُ إذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا القِتَالَ لَوْلا أَخَّرْتَنَا إلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ [النساء : من الآية 77] وقوله (تعالى) : ومَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إلاَّ مُتَحَرِّفاً لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ [الأنفال : من الآية 16] وقوله (تعالى) : يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ المُؤْمِنِينَ عَلَى القِتَالِ [الأنفال : من الآية 65] وقوله (تعالى) : فَإذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وذُكِرَ فِيهَا القِتَالُ رَأَيْتَ الَذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إلَيْكَ نَظَرَ المَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ المَوْتِ [محمد : من الآية 20] ، ونجد الفقهاء يربطون ربطاً محكماً بين مفهوم الجهاد ومفهوم القتال ، ففي تعريفهم للجهاد قالوا : هو دعوة الكفار إلى الدين الحق وقتالهم إن لم يقبلوا .

ويقول بعضهم : الجهاد هُو : (قتال الكفار لنصرة الإسلام) ، فالقتال هو أداة الدولة الإسلامية في نشر سلطانها لإعلاء دين الله ولتكون كلمة الله هي العليا .

ويمكن القول : إن مصطلح الجهاد يتبادل مع مصطلح القتال دلالته بحيث يمكن لأي منهما أن يعبر عما يدل عليه الآخر إذا أطلق أي منهما ، لكن إذا اجتمعا معاً فإن مصطلح الجهاد يبدو أوسع من مجرد القتال ؛ إذ فيه جوانب دعوية وتربوية وإعدادية ، بينما يعبر القتال عن الحرب في الميدان ، لكن لا يطلق الجهاد أبداً وينزع منه التعبيرات التالية له إما بالاستعداد للقتال أو الانخراط الفعلي فيه ، أي : إن الجهاد من أجل معاش الأولاد مثلاً أو من أجل الحصول على رسالة علمية أو من أجل بناء عمارة .. الخ ، لا يعبر عن المعنى الشرعي للجهاد .

ومصطلح الجهاد أسبق من مصطلح القتال فهو مصطلح مكي بينما مصطلح القتال هو مصطلح مدني ، فهو التعبير المؤسس لحركة دولة ، أما قبل الدولة فإن مصطلح الجهاد هو إعداد نفسي وتربوي ودعوي للقتال باعتبار أن القتال هو أسمى صورة للجهاد وهو أكثرها خطراً على النفس ، ففي المعركة يتعرض الإنسان لزلزلة الإقدام على الموت وهي فتنة تحتاج إلى تربية وجهاد .

خامساً : رؤية القدماء والمحدثين للسلم والقتال :

هناك إجماع بين الفقهاء القدامى على أن القتال هو أداة الدولة الإسلامية الحركية لتحطيم القوى التي تقف في وجه نشر سلطان الإسلام على العالم ، فالعلاقة بين دار الإسلام والعالم هي علاقة قتالية تتقدمها الدعوة ، ولكن بعض المعاصرين وتحت تأثير انتشار الأفكار الحديثة عن العلاقات الدولية رأوا أن السلم هو أساس علاقة الدولة الإسلامية (دار الإسلام) بالعالم ، والفقهاء الأقدمون نظروا إلى الجانب القتالي على أنه ينسخ الأحكام المرحلية التي أجازت السلم ، بينما رأى المعاصرون أن أحكام السلم محكمة وتمسكوا بها وأسسوا علاقة العالم الإسلامي (دار الإسلام) بالآخر على أنها : علاقة ود ومحبة وعدم اعتداء ، وبدون الدخول في الجدل الفقهي- فلذلك موضع آخر- فإننا نحاول من خلال التتبع للدلالة اللغوية والشرعية لكلمتي السلم والقتال أن نؤسس تصوراً جديداً .

سادساً : بناء تصور جديد لعلاقة دار الإسلام بالعالم من خلال المدخل اللغوي :

الدلالة اللغوية لكلمة السلم كما أوضحناها لا تنفي وجود تعارض في المصالح والأفكار والأهداف بين دولة وأخرى ، لذا : عكسنا قولة (كلاوزنتر) فقلنا : إن السلم هو الحرب بوسائل أخرى ، فليس معنى أن تكون علاقة الدولة الإسلامية

بالآخرين هي علاقة سلم أن ينتفي الصراع بينهما ولكنه يبقى قائماً واحتمالاته مفتوحة ، فقد يكون التعارض لأسباب سياسية أو اقتصادية أو استراتيجية ولكل حالة منها أسلوب في إدارة الصراع مع العالم .

أما الدلالة اللغوية لكلمة القتال فإنها لا تعني الانخراط في حرب عفوية بشكل دائم مع العالم ، ولكن هناك مستويات دون القتال تجعل الأمة على أهـبة الاستعداد والاستنفار لمواجهة العدو لأي سبب من الأسباب ، فعلاقة القتال في جوانبها الأهم تتمثل في الاستعداد النفسي من قبل لحالة الحرب ، ويمكن تصور أن معنى حالة السلم بمعنى الصلح متداخل ومتقاطع مع معاني القتال ودلالته التي تركز على الجانب التربوي بحيث لا يتحول السلم الذي تقيمه الأمة إلى ركون للدنيا وكراهية للموت ، وإنما هو سلم واعٍ ومستعد إذا حاولت الأطراف الأخرى أن تنقض اتفاقها مع الدولة الإسلامية أو بدأً للدولة الإسلامية أن حالة الضرورة أو المصلحة غير متوافرة ، فهو لذلك سلم له طابع مرن ومتغير وليس سلماً مؤثراً ، ولا توجد في العلاقات الدولية المعاصرة حالة سلم دائم أو حالة حرب دائمة ، وإنما هي حالة صراع دائم لا يتوقف ، وكلمة السلم والقتال تتضمنان حالة الصراع أكثر من معاني الاستسلام أو الحياد . إن الاستعداد الدائم للحرب سواء أكان ذلك في حالة السلم أو ما قبل القتال هو الردع الذي يمنع الخصم من أن يضر بمصالحك أو أن يعتدي عليها ، واستراتيجية الردع المتبادل الآن ليست سوى تملك أدوات القتال والتهديد بالاستعداد لاستخدامها دون الاستخدام الفعلي لها ، وهي استراتيجية تتداخل فيها تعبيرات السلم والصراعية وتعبيرات القتال السلمية التي تحقق أهداف الحرب دون استخدامها .

قطوف رمضانية

قال -صلى الله عليه وسلم- : (من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في **أن يدع طعامه وشرابه) رواه البخاري**

(*) هو بند من بنود الاتفاقية التي كانت بين المهاجرين والأنصار عند مقدم الرسول -صلى الله عليه وسلم- ، شرح الزرقاني على المواهب اللدنية ج 4 / 168 ، السيرة النبوية الصحيحة ، د إكرام العمري ج 1/297

- البيان - .

خواطر في الدعوة

وإخوانهم يمدونهم في الغي

محمد العبدة

ليس غريباً أن يلجأ العلمانيون في معرض التشغيب على الإسلاميين إلى التهمة المكررة المعتادة (أنتم تريدون الحكم ، وتستخدمون الدين وسيلة لهذا الهدف) ، وليس غريباً أن يعيدوا الكلام البارد الغث عن (الإسلام السياسي) و (الأصولية) مما يجترُّونه وينقلونه عن الكتابات الغربية ، ويظنون أنهم بهذا التهويش الإعلامي إنما يضعون الإسلاميين في الزاوية الحرجة .

إن هذه التهمة ليست جديدة على مسامع الدعاة إلى الله ، فإن للمعاصرين من العلمانيين سلفاً في ذلك ﴿ وإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الغَيِّ ثُمَّ لا يُقْصِرُونَ ﴾ [الأعراف : 202] ، إنهم ملأ فرعون حيث يذكر القرآن هذا الحوار بينهم وبين موسى (عليه السلام) ﴿ قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا ولا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ *

مجلة البيان
إهداء إلى مكتبة مشكاة الإسلامية

قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وتَكُونَ لَكُمَا الكِبْرِيَاءُ فِي الأَرْضِ [يونس : 77-78] ، قال في تفسير المنار :
(هذا استفهام وتوريط وتقرير ، فحواه : أتقر وتعترف بأنك جئتنا لتصرفنا عما وجدنا عليه آباءنا وأجدادنا من الدين القومي الوطني ، لنتبع دينك ، وتكون لك ولأخيك كبرياء الرئاسة الدينية وما يتبعها من كبرياء العظمة والملك الدنيوية في أرض مصر كلها ، يعنون : أنه لا غرض لك من دعوتك إلا هذا وإن لم تعترف به اعترافاً) [1] .

أليست هذه مقولة علمانيينا حذو القذة بالقذة ؟ ترى ما الذي أعطى لهؤلاء الحق في الحكم ومنعه عن الإسلاميين ؟ ! ولماذا السياسة حلال لهم وحرام على غيرهم ؟! وما هي مؤهلاتهم لسياسة الخلق لما فيه مصلحتهم ؟ وماذا قدموا لهذه الأمة طوال عقود من السنين تربعوا فيها على سدة الحكم قي أكثر أنحاء العالم الإسلامي ، إلا أن تركوا الديار قاعاً صفصفاً ، فقد ضعف العلم وانحسرت التنمية ، وظهرت طبقات طفيلية امتصت خيرات المجتمع ، وقننت الرشوة والظلم .. وقبل كل هذا فقدت الأمة أثمن ما تملك : هويتها وانتماءها .

ما أكثر جرأة هؤلاء الذين ملؤوا الدنيا جعجعة بالشعارات الوطنية ، هؤلاء الجاحدون لثقافتهم ، المتنكرون لأمتهم ، فإن علمانيي أوروبا لم يتنكروا لماضيهم التاريخي كما فعل هؤلاء ، ولم يخجلوا من انتمائهم الحضاري السابق كما يخجل هؤلاء ، ولقد أعلن أخيراً عن فوز الحزب الجمهوري في الولايات المتحدة الأمريكية وخاصة الجناح المحافظ المتدين ، والذي يقود هذا التيار أستاذ جامعي تذاع محاضراته ذات الطابع المتدين في جميع الكليات ، ولم نسمع أن هناك من يقيم الدنيا ولا يقعدها ، ويدعو بالويل والثبور لانتصار هذا الجناح أو لانتصار النصرانية (السياسية) ، فلا أدري أي صنف من البشر علمانيونا هؤلاء ؟ ! !

إن هذه الأرض لله ، والله لا يحب الفساد والظلم لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ [البقرة : 124] والمسلم مأمور بالعدل والإنصاف والرحمة للخلق ، وقد قام بمهمة الحكم وسياسة الناس لما فيه مصلحتهم في معاشهم ومعادهم سيد الخلق محمد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ، وقام بها بعده أفضل الناس بعد الأنبياء أمثال أبى بكر وعمر ، ولم يستنكفوا عنها ، ولم يزهدوا فيها ، ولم يفصلوا بين الدين والحياة ، وبين الدين والسياسة ، وامتلأت الأرض عدلاً ورحمة وعمراناً .

واذا جادل هؤلاء بما يقع من أخطاء في جهات إسلامية ، فما وقع منهم أضعاف هذا ، ويبقى المسلمون أكثر رحمة وعدلاً وهم المستقلون عن الارتباط بأعداء الأمة .

---

(1) تفسير المنار : 11/466 .

دراسات اقتصادية

السكان والتنمية من المنظور الإسلامي (2)

د . محمد بن عبد الله الشباني

في الحلقة الأولى تم تحديد واستجلاء الإطار الفكري الذي قام عليه المؤتمر العالمي للسكان الذي انعقد في القاهرة خلال شهر سبتمبر لعام 1994 م ، كما تمت مناقشة موقف الإسلام من مفهوم التنمية وعلاقة ذلك بالسكان ، وفي هذه الحلقة سوف يتم مناقشة موقف الإسلام ومعالجته لموضوع السكان ضمن إطار عملية

التنمية وفقاً للمفهوم الذي سبقت مناقشته في الحلقة السابقة .
يمتلك الإسلام أسساً وأطراً توضح العلاقة بين مجموعة أفراد البشر (السكان) وبين عملية التنمية من حيث إنها وسيلة من وسائل معالجة وجود البشر كثرةً وقلةً ، فكثرة البشر وقله الموارد حقيقة من حقائق وجود الإنسان على هذه الأرض ، وهي جزء من سنة الله الكونية في وجود النقص في الموارد بحيث تتحقق سنة الله في الابتلاء والامتحان للبشر فيما أعطوا وفيما منعوا ؛ يقول الله (سبحانه) : ﴿ ولَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الأَرْضِ ولَكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ إنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴾ [الشورى : 27] .
إن الإسلام يضع ضوابط وقواعد تعالج الخلل عند نقص الموارد ، كما تعالج أسلوب تنمية الموارد الطبيعية بتحسين قدرات الإنسان بحيث تعمل على زيادة الإنتاج القومي وتحقيق التوزيع العادل بين الأفراد لهذا الإنتاج .
والحقيقة الشرعية حول وجود الناس زيادة ونقصاً تتمثل في أن الله قد حدد عددهم وأحصاهم ولا يمكن أن يولد إنسان ما لم يكن قد أراد الله ولادته ؛ يقول تعالى : ﴿ ولَقَدْ عَلِمْنَا المُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ ولَقَدْ عَلِمْنَا المُسْتَأْخِرِينَ ﴾ [الحجر : 24] وقد جاءت هذه الآية لتبين حقيقة أن البشر قد تم إحصاؤهم في الأزل ، وأنه لن يكون هناك نفس مخلوقة أتت إلى الوجود أو تأتي في المستقبل إلا وهي معلومة له (سبحانه وتعالى) ، فإن الله قد وفر لهذه النفوس احتياجاتها ، ولهذا جاء في نفس السورة وفي هذه الآية تحديد مصدر الأشياء وأن ما يوجد على وجه الأرض معلوم مقدر ؛ يقول تعالى - موضحاً لجميع البشر أن مصدر الرزق وغيره مملوك لله وتحت تصرفه - : ﴿ وإن مِّن شَيْءٍ إلاَّ عِندَنَا خَزَائِنُهُ ومَا نُنَزِّلُهُ إلاَّ بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴾ [الحجر : 21] وفي آية أخرى تصف حقيقة تعلق الرزق وأن جميع المخلوقات مضمون رزقها وأن أنكار هذه الحقيقة هو مخالف لحقيقة الإيمان بالرب الخالق ؛ يقول (تعالى) : ﴿ ومَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا ﴾ [هود : 6] .
إن محاربة الزيادة السكانية من خلال منعها - سواءً أكان ذلك بفرض وسائل منع الحمل أو بالإجهاض - باعتقاد أن الموارد لا تكفي الزيادة السكانية وأن مصلحة البشر تقتضي الإقلال من زيادة نموهم ، إن ذلك إعلان لإنكار ربوبية الله للخلق .
إن الإسلام لا يعارض استخدام وسائل تأجيل الحمل لظروف معينة فردية ، فقد روى البخاري عن جابر بن عبد الله (رضي الله عنه) أنه قال : (كنا نعزل والقرآن ينزل) [1] ، كما روى البخاري أيضاً عن ابن مُحَيْريز أنه قال : (دخلت المسجد فرأيت أبا سعيد الخدري فجلست إليه فسألته عن العزل ، فقال أبو سعيد : خرجنا مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في غزوة بني المصطلق فاصبنا سبياً من سبي العرب فاشتهينا النساء واشتدت علينا العزبة وأحببنا الفداء فأردنا أن نعزل، فقلنا نعزل ورسول الله -صلى الله عليه وسلم- بين أظهرنا قبل أن نسأله ، فسألناه عن ذلك ، فقال : (ما عليكم أن لا تفعلوا ، ما من نسمة كائنة إلى يوم القيامة إلا وهي كائنة) [2] .
من خلال هذين الحديثين ندرك أن عملية تنظيم الحمل لأغراض معينة كتأجيل الحمل للحاجة إلى المرأة أو لمرض المرأة أو غير ذلك من الأسباب الموجبة لتأخير الحمل أمر جائز ، لكن مع إدراك أنه لا يجوز بأي حال من الأحوال القضاء على الحمل تخلصاً منه ، وأن جميع وسائل الحمل المعروفة لا تضمن منع الحمل ولا تمنع وقوعه مهما كانت هذه الوسائل ، وهذا مصداق قول الرسول -صلى الله عليه وسلم- (ما من نسمة كائنة إلى يوم القيامة إلا وهي كائنة) ، لهذا قامت الدعوة في مؤتمر السكان الأخير بالسماح بتقنين الإجهاض والسماح به قانوناً باعتباره هو الوسيلة المضمونة لمنع المواليد ، وهو وأد الجاهلية المعاصرة .

الإسلام يعتبر الإنسان عنصراً مهماً من عناصر التنمية ، وبالتالي فإن العناية بالسكان من حيث الكم والكيف أمر مهم لمسار التنمية الاقتصادية ، مع الأخذ في الاعتبار أن هناك تفاوت في هذه القدرة على المساهمة في العملية الإنتاجية من فرد إلى فرد .

إن الأفراد متفاوتون في القدرة على المساهمة ؛ فمنهم من يمتلك القدرات الجسمية والعضلية ومنهم من لا يمتلك ذلك ، ولذلك فقد وضع الإسلام قواعد لمعالجة هذه الاختلالات ، سواء أكان ذلك من ناحية تنمية قدرات الأفراد وقيام الدولة المسلمة بتنمية ذلك ، أو من خلال إلزام الأفراد القادرين على مساعدة غير القادرين من خلال التشريعات المالية التي وضعها الإسلام .

والعناية المهنية بالفرد هي إحدى السمات البارزة في عملية التنمية السكانية من وجهة النظر الإسلامية ، تتمثل هذه العناية بتوجيه الأفراد نحو تأكيد أهمية الممارسة المهنية من خلال إعطاء قيمة للإنسان العامل المنتج المهني ؛ فقد روى أحمد بسنده عن جميع بن عمير عن خاله أبي بردة بن نيار ، قال : سئل النبي -صلى الله عليه وسلم- عن أفضل الكسب ، فقال : (بيع مبرور ، وعمل الرجل بيده) [3] .

ففي الحديث السابق توضيح وتوجيه إلى أهمية الفرد في التنمية وأنه هو مصدر التنمية سواء أكان ذلك فيما يخصه أو ما يخص بيئته المحيطة به ، وبالتالي: فإن من الواجب العمل على زيادة القدرة لدى أفراد الأمة على المساهمة في زيادة الإنتاج ، باعتبار أن الإنسان هو أهم عنصر من عناصر الإنتاج القومي .

إن من أهم مقومات التنمية السكانية إيجاد الأفراد المدركين لدورهم في المجتمع ، وأن كل فرد من أفراد المجتمع يتحمل المسؤولية تجاه استقرار ونماء مجتمعه ، بحيث يكون له دور فعال ومؤثر مهما كان مركزه في هذا المجتمع ؛ لهذا فإن من مرتكزات التنمية السكانية تنمية هذا الوعي ، والذي يتمثل في أمرين :

الأمر الأول : إيجاد الإحساس لدى كل فرد من أفراد المجتمع بأهميته في الواقع الاجتماعي ، على أن يغرس هذا الأمر في النفوس من نعومة الأظافر ، ويرشد إلى ذلك ما رواه البخاري ومسلم عن ابن عمر (رضي الله عنه) عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال : (ألا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته ، فالأمير الذي على الناس راع وهو مسؤول عن رعيته ، والرجل راع على أهل بيته وهو مسؤول عنهم ، والمرأة راعية على بيت بعلها وولده وهي مسؤولة عنهم ، والعبد راع على مال سيده وهو مسؤول عنه ، ألا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته) [4] .

الأمر الثاني : المساهمة الفعلية في تنمية قدرات الآخرين ومساعدتهم ليكونوا فاعلين ومنتجين ، ويوضح ذلك ما رواه البخاري عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : (كل سلامي من الناس عليه صدقة ، كل يوم تطلع فيه الشمس تعدل بين الاثنين صدقة ، ويعين الرجل على دابته يحامله عليها أو يرفع عليها متاعه صدقة ، والكلمة الطيبة صدقة ، وكل خطوة تخطوها إلى الصلاة صدقة ، ودل الطريق صدقة) [5] ويكمل مدلول هذا الحديث ما رواه ابن حبان والحاكم في مسنده عن ابن كثير السحمي عن أبيه ، قال : سألت أبا ذر ، قلت: دلني على عمل إذا عمل العبد به دخل الجنة ، قال : سألت عن ذلك رسول الله - صلى الله عليه وسلم- فقال : يؤمن بالله ، قال : فقلت : يا رسول الله إن مع الإيمان عملاً ! ، قال : يرضخ في رزقه لله ، قلت : وإن كان معروفاً لا شيء له ، قال : يقول معروفاً بلسانه ، قلت : فإن كان عَيِينا لا يبلغ عن لسانه ، قال : فيعن مغلوباً ، قلت : فإن كان ضعيفاً لا قدرة له ، قال : فليضع لأخرق ، قلت : وإن كان أخرق ،

قال : فالتفت إلي ، وقال : ما تريد أن ترع في صاحبك شيئاً من الخير ؟ فليدع الناس من أذاه) ففي هذا الحديث توضيح لمنهج الإسلام في كيفية توجيه الفرد للمساهمة في تنمية مجتمعه من خلال المساهمة قي توفير الظروف المساعدة لتحسين ظروف الآخرين سواءً أكان ذلك بالفعل المادي أو بالقول .

إن التنمية السكانية التي يسعى إليها الإسلام هي رفع كفاءة الأفراد النوعية باعتبار أن الفرد عنصر فعال في العملية الإنتاجية للمجتمع ، وبالتالي فإن اضمحلال قدرة الفرد وكفاءته سوف يؤدي إلى أن يكون عنصر العمل ضعيفاً غير منتج كلا على الآخرين .

إن دور الدولة المسلمة في تحقيق هذه التوجيهات لتنمية الطاقة السكانية تتمثل في اتباع المنهج الإسلامي في تطبيق قواعد الصرف من الأموال العامة ، التي منها الأمور التالية [6] :

1- زيادة الدخل القومي بزيادة الثروة الفردية من خلال توجيه الإنفاق سواءً أكان ذلك فيما يتعلق بكيفية توزيع الزكاة أو بالقيام بالإنفاق على البيئة الأساسية للاقتصاد ، وذلك بقصد إخراج الفئات الفقيرة غير المنتجة إلى فئات منتجة ، ويؤيد ذلك ما رواه الترمذي عن عون بن أبي جحيفة عن أبيه قال : (قدم علينا مصدِّق النبي -صلى الله عليه وسلم- فأخذ الصدقة من أغنيائنا فجعلها في فقرائنا - وكنت غلاماً - يتيماً فأعطاني منها قلوصاً) [7] ، فإعطاؤه القلوص إنما قُصد منه أغناؤه بتمكينه من زيادة الدخل من خلال إعطائه رأس المال القادر على توفير فرصة استغنائه عن بيت مال المسلمين .

2- تنمية قدرات الأفراد العلمية والعملية بتوفير البيئة الاجتماعية الحانية من خلال اهتمام الدولة بأفرادها ورعايتها لهم من خلال الإنفاق عليهم من بيت المال ، فقد روى الإمام أحمد في مسنده عن المقدام بن معد يكرب الكندي عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال : (من ترك مالاً فلورثته ، ومن ترك ديناً أو ضيعة فإليّ ، وأنا وليّ له ، أفك عنه وأرث ماله ، والخال وليّ من لا وليّ له ، يفك عنه ويرث ماله) [8] .

ولقد فهم هذا الحديث ومارسه الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز (رضي الله عنه) فقد كتب إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن بالعراق ، وقال له : أن أخرج للناس أعطياتهم (أي رواتبهم ومخصصاتهم الدورية) ، فكتب إليه : إني قد أخرجت للناس أعطياتهم وقد بقى في بيت المال مال (فائض في الخزانة) ، فكتب إليه : أن انظر كل من عليه دين في غير سعة ولا سرف فاقض عنه ، فكتب إليه : إني قد قضيت عنهم وبقى في بيت المال مال ، فكتب إليه : انظر إلى كل بكر (أي : أعزب) ليس له مال فشاء أن تزوجه فزوجه وأصدق عنه ، فكتب إليه : إني قد زوجت كل من وجدت وقد بقى في بيت مال المسلمين مال ، فكتب إليه : أن انظر من كانت عليه جزية فضعفت عن أرضه فأسلفه ما يقوى به على عمل أرضه ، فإنا لا نريدهم لعام ولا عامين . وقد روى ابن كثير في البداية والنهاية خبراً عن عمر بن عبد العزيز بأنه كان يأمر من ينادى في الناس كل يوم : أين المساكين ؟ أين الغارمون ؟ أين الناكحون (أين الذين يريدون الزواج) ؟ أين اليتامى ؟ وقد سبق بتطبيق هذا المنهج الخليفة الرائد عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ، وقد روى أبو عبيد القاسم بن سلام عن إبراهيم بن سعد عن أبيه سعد بن إبراهيم : أن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) كتب إلى بعض عماله أن اعط الناس على تعلم القرآن . وتعلم القرآن يمثل الأساس الثقافي الذي بدون وجوده تتعطل قدرات أفراد المجتمع الفاعلة ، ويقاس على ذلك : جميع أنواع التدرب والتعليم لرفع كفاءة وقدرات أفراد المجتمع .

إن معالجة الإسلام لمشكلة التزايد السكاني إنما تقوم على أساس أن البشر

يمثلون طرف المعادلة المهم في التنمية الاقتصادية ، وأن الإخلال بهذا الطرف سوف يؤثر على التنمية الاقتصادية بمجملها ، ولهذا فإن المعالجة لا تكون بتقليص الأعداد البشرية المخلوقة وإنما بزيادة قدراتهم الإنتاجية مع توفير البيئة الاجتماعية الرحيمة التي تأخذ بيد الفقير والعاجز والكبير .

---

(1) البخاري ، كتاب النكاح ، باب العزل ، ج9 ص 305 .
(2) البخاري ، كتاب النكاح ، باب العزل ج9 ص 305 ، كتاب البيوع ، باب بيع الرقيق ج 4 ص 421 .
(3) أخرجه الإمام أحمد في المسند ج 3 ص 466 .
(4) البخاري ، كتاب الأحكام ، باب قوله (تعالى) : ﴿ وأَطِيعُوا اللَّهَ وأَطِيعُوا الرَّسُولَ ﴾ ح 7138 ، ومسلم في كتاب الإمارة .
(5) البخاري ، كتاب الصلح ، باب الإصلاح بين الناس ح 2889 ، ح 2891 .
(6) لمزيد من الاطلاع على نظرية الإسلام في كيفية تطبيق الشريعة في مجال تمويل الدولة ومناهج صرف الأموال العامة ، يراجع كتابنا : مالية الدولة على ضوء الشريعة الإسلامية .
(7) أخرجه الترمذي ، باب ما جاء أن الصدقة تؤخذ من الأغنياء فترد على الفقراء ، وحسنه ، وضعفه الألباني ح 99 ضعيف الترمذي ص 72 و (القَلوص) من الإبل الفتيِّة المجتمعة الخَلْق ، وذلك من حين تركب إلى التاسعة من عمرها .
(8) المسند ج 4 ص 133 .

نصوص شعرية

رمضان عذراً إن عصى الشعر

محمد عبد القادر الفقي

أيا رمضان الخيرِ عذراً ، عصى الشعرُ فلم يترنم مثلما يوجب الأمرُ
وكيف لشعري أن يسيل عذوبةً بمدحك والأرزاء في أبحري كُثْرُ
وكيف القوافي فيك أزجي عصيَّها وأحوالنا تُزري ، وأفعالنا نكْرُ؟! وأين الخيال الحر؟أنَّى لنا بهِ وفي القلب همٌّ لا يرام لهُ حسْرُ
تهبُّ الرياح الذارياتُ بداخلي فتترك نفسي بلقعاً ما بهِ زهْرُ
تراوحني في كل حين فجاءةٍ كأني فلاة ليس في رملها سدرُ
فيا خير شهرٍ لا تلمني لأنني أعاني جروحاً لا يعالجها الصبرُ!
أتيتَ إلينا والكراماتُ قد خَبَتْ ومن أين تأتينا وقد أورق الشرُّ؟
نصلي؟نعم! لكن صلاةٍ بلا تقى ونأمر بالفحشاء إذ وجب الطهر!
نصوم؟نعم! لكن صياماً عن القِرى ولذاتنا تمتد إذ يطلع الفجرُ!
وفي الأرض إخوان لنا كلَّ حلمهم بقايا إدامٍ يستقيم بها الظَّهْرُ!
كأن مجاعات الدنا كلها قوَتْ بدورهمُ .. أو حلّ مِصْرَهمُ الفقرُ
نحجُّ؟نعم! لكن لمجلس عصبةٍ ونطلب منه الأمن إن يُهتكُ السِتُر
فلا عصبة (الفيتو) أعادت أماننا ولا الدبُّ واسانا ، ولا الأقرعُ لنسر!
أتيت إلينا ، صُبْحُنا مثل ليلنا فأجواؤنا سودٌ وأجفاننا جمرُ
فيا رمضان العتق ذلّت رقابُنا إلى اللهِ نشكو : ربَّنا مسنا الضرُ!
تداعتْ علينا أمّةٌ بعد أمّةٍ وعشش فينا اليأس والضَّعْف والذُّعْرُ
وليس لأهلينا سراةٌ وإنما بُلينا بجندهم علينا المُدى الحُمْرُ
إذا المرء صلى الفجر قالوا : مُخَرِّبٌ! وإن عاقر الصهباء قالوا : فتى حُرُّ!
وإن رتل القرآن قالوا : مضللٌ! وإن حالف الشيطان قالوا : له الشكرُ!
همُ قد أضاعوا (قدسنا) بل كياننا فوا ذلّ شعبِ عمرُهُ كلّهُ قهر!
أتيت إلينا ، والمصائب جَمَّةٌ فآلامنا مَدٌّ وآمالنا جَزْرُ!
وأوراقنا صُفْرٌ بلون جلودنا وأشرارنا كُثْرٌ ، وإنجازنا صفر!
فواعجباً إن فارق الخيرُ أرضنا وواعجباً إن عربد الشركُ والكفر

وواعجباً أن يهدم البغيُ مسجداً وأن يصبح الهندوس هزُّهم نمْرُ
وواعجباً أن ندمن العار والخنا وواعجباً أن يكْثِرَ الفرُّ لا الكر
وواعجباً أن يسحق الصِّرْبُ قومنا وواعجباً أن يكْثُرَ البقرُ والجزْرُ
تُذبَّح مثل الشاة في كلِ موضع ونُسلَخُ أحياءً وتغلي بنا القدرُ!
وتُرمى إلى الخنزير عمداً لحومُنا ويأكل منها الكلبُ والذئب والنسر!
فيا رمضان القدر قد ضاع قدرُنا وأظلمت الدنيا ، ونهتف : يا بدر؟
ولا بدرَ ، لا حطين ، لا أيَّ بارقٍ لنصرٍ ، تُرى من أين يأتي لنا النصر؟
إذا نحن لم نغسلْ من الرجس أنفساً فخير مكانٍ يرتضينا هو القَبْرُ!

مقال

هل يموت المجتمع ؟

د/ خالص جلبي

أما موت الأفراد فليس من إنسان إلا وقد رآه واقعاً ، بل إن حقيقة الموت لنا كأفراد لا تفارقنا يوماً واحداً ، فنحن نعي أننا جئنا إلى هذه الدنيا بغير رغبة منا أو استشارة ، كما أننا سنودع هذه الحياة بمثل ذلك ، ولكننا لا نستطيع أن نهضم أو نستوعب موت مجتمع ما ، فلا يوجد فرد منا عاصر موت مجتمع بالشكل الذي يموت به الفرد ، فهل يعني هذا أن المجتمع خالد لا يموت ؟ أو أنه كائن من نوع غير (بيولوجي) إلا أنه يموت ككل الكائنات التي تولد فتموت ؟ وإذا كانت (سنة أو قانون) الولادة والموت تطوق هذا الكائن الذى نسميه (المجتمع) وتشكل مصيره ، فقدبات علينا معرفة هذا (البعد الجديد) في الحياة الإنسانية ، أي : تشكل المجتمع ، ثم مراقبة احتضاره وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة ، وكيف يتم ذلك ؟ وبأي آلية ؟ وفي أي ظرف ؟ وتحت أية شروط ؟ ﴿ وِلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ﴾ .

حوار حول الموضوع :

اعتدل الدكتور (ماجد) في جلسته ، ثم حدق فيّ النظر مليّا وقال - وفي وجهه علامات اليأس والألم - : إن تحليلي في غاية التشاؤم وانطباعي عن المجتمع العربي : أنه قد تحول إلى جثة على طاولة التشريح فهو في حكم الميت ، وفي قناعتي أنه سيندثر بشكل نهائي في القرن القادم .

صدمت وبعمق ، فهذا الإنذار المرعب (PROGNOSIS) [1] ، يشكل حالةً متقدمة حتى عن وضع السرطان ، فيبقى السرطان مرضاً لا أمل في الشفاء منه ، ومع هذا يبقى المريض مريضاً ، أي أنه مازال حياً يرزق ، ولو أنه محكوم عليه بالإعدام .

لقد مضى صديقي الدكتور في تحليله خطوة أبعد ، واعتَبَرَ أن المجتمع في حكم الميت مع كل مظاهر الحياة والنشاط لأفراده ! ! فمن أين جاء بتحليله هذا يا ترى ؟ ؟ إنه - وهو الباحث في العلوم الإنسانية والتربوية - عنده عددٌ من المشعرات (INDEX) والمؤشرات إلى وضع المجتمع ، ولادة أو موتاً ، عافية أو اعتلالاً ، لذا تقدم فطرح هذا التشخيص ، (DIAGNOSIS) فاعتبر الجسد الاجتماعي (جثة) .

قلت له - معقباً ومتسائلاً في الوقت نفسه - : إننا معشر الأطباء عندنا من المؤشرات ما فيه الكفاية على موت الفرد (عضوياً) : من انعدام النبض ، وتوقف ضربات القلب ، وغياب التنفس ، وعدم تدفق الدم بجرح الجلد ، أو توقف النشاط الكهربي للقلب والدماغ ولمدة طويلة ، بل حتى إن الجثة تبدأ في التغير بعد فترة ،

فتكون أولاً حارّة لتصبح بعد ذلك باردة ، وتكون رخوة لتصبح بعد ذلك مثل قطعة الخشب المتيبسة (الصمل الجيفي) ، ثم تبدأ في التعفن والتحلل ، ويصبح القبر خيرُ سترٍ لهذا الجسم المتهتك .

- نظر إليّ صديقي الدكتور متأملا ثم أجاب : بهذه الدقة من التحديد ليس عندي جواب ؟ -ومع هذا- ، لنضع ، لكلام آنف الذكر تحت المجهر النقدي لنرى صموده وصلابته أمام التحليل ؟ ؟ !

لا يمكن أن نفهم (موت المجتمع) ما لم نفهم ما هو (المجتمع) تأصيلاً ؟ فإذا استطعنا أن ندرك تكوين هذا الكائن (النوعي) أمكن لنا أن نحدد مرضه من صحته ، وموته من حياته ، فالمجتمع ليس مجموعة أفراد ، بل هو (شبكة علاقات) ، تنظم نشاط الأفراد [2] ، فإذا أردنا تصور (الشبكة الاجتماعية) أو (النسيج الاجتماعي) أمكن تشبيهه بالخيوط والعقد ، العقدة الواحدة متصلة بالعقدة الثانية من خلال خيوط الشبكة ، وبذلك فإن كل عقدة متأثرة سلباً أو إيجاباً بوضع الخيوط التي تصل ما بين هذه العقد ، وتعطينا (البيولوجيا) مثالاً ممتازاً لهذا الوضع ، حيث يترابط ما يزيد عن مائة مليار خلية عصبية (النورونات -NEURONS) في ، الدماغ من خلال نسيج عصبي كثيف ، كل خلية مزودة بحوالي ألف ارتباط ، بحيث يشكل الدماغ الذي يحمله كل فرد منا في رأسه ؛ شبكة أكبر وأعقد من كل الكون المحيط بنا ، وتتعاون هذه (النورونات) من خلال (نظام التحام) بين كل خلية وأخرى ، تسري فيها سيالة عصبية ، تعبر هذا النسيج من أقصاه إلى أقصاه ، بحيث تحيل الدماغ في النهاية إلى وحدة عمل مركزية واحدة منسقة مبدعة ، والنسيج الاجتماعي -أي شبكة العلاقات والخيوط التي تربط بين الأفراد - تتعلق أيضاً بالأفراد الذين يفرزونها ، ولذا فإن وضع الشبكة المرتخي أو المشدود ، النشيط أو الخامل ، يتعلق بالأفراد الذين يحفظون هذه العلاقات أو يدمرونها . وينبني على هذه الفكرة أمران هامان :

1- الأمر الأول : أن قوة الشبكة الاجتماعية وإحكامها هي من قوة الأفراد لأنها من صناعتهم .

2- الأمر الثاني : أن الأفراد قد يمزقون هذه الشبكة ، فيما لو شُد الخيط أو توتر بشكل زائد لمصلحة إحدى العُقَد ، وهي (الظاهرة الورمية) ، حيث يؤدي ضخامة الفرد (العقدة في الشَبكة الاجتماعية) ، إلى قطع الأوتار الاجتماعية ، وبالتالي بداية تدمير المجتمع على حساب نمو الأفراد وتضخمهم بظاهرة (السرطان)، فالسرطان ليس إلا مجموعات من الخلايا تعلن التمرد على النظام لحسابها الخاص، غير عابئة بما يحصل للجسم ، ولكن السرطان - كما عَلمنا في مثل القرد سيئ الذكر في (كليلة ودمنة) الذي نشر غصن الشجرة القاعد فوقه - عندما يقضي على البدن بارتكابه هذه الحماقة المصيرية ، يقضي على وجوده ذاته .

يقول مالك بن نبي : (بيد أن جميع أسباب هذا التحلل كامنة في شبكة العلاقات، فلقد يبدو المجتمع في ظاهره ميسوراً نامياً ، بينما شبكة علاقاته مريضة ، ويتجلى هذا المرض الاجتماعي في العلاقات بين الأفراد ، وأكبر دليل على وجوده يتمثل فيما يصيب (الأنا) عند الفرد من (تضخم) ينتهي إلى تحلل الجسد الاجتماعي لصالح الفردية ، فالعلاقات الاجتماعية تكون فاسدة عندما تصاب الذوات بالتضخم ، فيصبح العمل الجماعي المشترك صعباً أو مستحيلاً) [3] .

تركيبة المجتمعات :

كان اكتشاف حلقة البنزين في الكيمياء العضوية شيئاً مثيراً للغاية ، فالسكر السداسي (الجلوكوز) الذي يستخدم للطاقة في جسمنا ، مكون من ذرات من الفحم الأسود (الكربون) ، كما أن الألماس اللامع الرائع الصلد ، مكون من ذرات من (الكربون الأسود) المضغوط بشكل جبار ، والذي منح اللمعان للذرات السوداء

القبيحة ، هو طبيعة (التركيب الداخلي) لذرات الكربون ، فأصبحت شديدة اللمعان والمجتمع بدوره هو (طبيعة تراص) خاصة بين أفراده ، فإذا بقي ذرات كان سخاماً اسوداً قاتماً ، فإذا تراصت ذراته تحول إما إلى إعصار طاقة ، أو لمعان تفوق عبر التاريخ .

فالذي منح ذرة السكر الحلاوة المنعشة والطاقة الرائعة ، وأعطى ذرة الألماس الصلابة المخيفة ، والتألق المدهش الفذ ، هو طبيعة التركيب الداخلي ، مع أن ذرات الكربون في الأصل سواد وقتام ، وهشاشة وضعف بين العناصر المعدنية ، بل يعتبر الفحم (شبه معدن) وليس معدناً ، فهو ليس في صلابة الحديد ، أو ندرة الذهب ، أو ثقل الزئبق ، أو إشعاع اليورانيوم ، فالذي يعطي التركيب القوة الضاربة ، أو النوعية الممتازة ، أو التميز والتفوق ، هو كيفية (اجتماع) عناصره الأولية ، فالذي يَسِمُ المجتمع بالقوة أو الضعف ، بالتميز أو السطحية ، بالتفوق أو الانحطاط ، هو نوعية علاقة ذراته (أشخاصه) الداخلية ، وبذلك تفوق المجتمع الياباني وتأخر المجتمع العربي ، مع أن النقطة الزمنية لاحتكاك كلا المجتمعين بالمجتمع الغربي كانت متقاربة ، فارتفع المجتمع الياباني وحلق ، في حين أن المجتمع العربي مازال يجرجر أقدامه المتعبة المريضة ، ويعجز عن السيطرة على حل مشاكله ، وبين عامي 1960 - 1990م حقق المجتمع (الكوري) قفزة نوعية وبقي المجتمع (الغاني) يتجرع غصص التخلف ، مع أن مستوى دخل الفرد كان واحداً في نقطة البدء ! ! [4] .

إذاً فالمجتمع هو تركيب (STRUCTURE) تماماً كما في التراكيب الكيمياوية العضوية ، وهو بالتالي ليس (مجموعة ذرات) و (كومة أشخاص) ونحن نعلم من الكيمياء العضوية أن تغيير فاعلية مركب من وضع إلى وضع ، يتم من خلال السيطرة على تغيير نوعية العلاقات الكيمياوية الداخلية ، ويبقى (الكم الذري) كما هو بدون نقص أو زيادة ، فينقلب المركب الخامل إلى فعّال وبالعكس ، والدواء إلى سم زعاف ، والسم إلى ترياق ، كما حصل مع باول ايلريش (PAUL EHRLICH) بعد (606) مرات من المحاولات ؛ لقلب التركيب الكيمياوي لبعض الأصبغة ، فتحول المركب السام في النهاية إلى ترياق وعقار ، لمعالجة داء فتك بالجنس البشري كثر من (400) عاماً (الافرنجي - SUPHILIS) [5] .

المجتمع مرضه وموته :

كيف يمرض المجتمع إذاً ؟ بل كيف يموت ؟ . كل ذلك يحدث بالآلية نفسها (تغير طبيعة العلاقات الداخلية بين العناصر الأولية) ، فإذا تورم الأفراد وتحولوا إلى (قوارض اجتماعية) تلتهم الشبكة الاجتماعية ، انحدر المجتمع صوب الفناء والموت ، وبالآلية نفسها التي يموت بها الأفراد ، ولكن علينا أن نتأمل هذه الظاهرة جيداً ، فما الذي يحدث عند موت الفرد ؟

دعنا نتأمل ظاهرة (الفك والتركيب) في أي موجود تحت أيدينا من مثل الكرسي أو الطاولة أو السيارة .

كيف نسمي الطاولة (طاولة) ؟ أو السيارة (سيارة) ؟ إن هذا يرجع ليس إلى (القطع أو الأجزاء) التي تشترك في تركيب الطاولة فضلاً عن السيارة ! ! فلو أمسكنا بالكرسي و (فككنا) الأجزاء عن بعضها ، لم تعد الطاولة (طاولة) ولا السيارة (سيارة) ؟ ! والسبب هو أن السيارة تأخذ (وظيفتها) و (شكلها) الذى يمنحها الاسم ، من (اتصال القطع) و (تلاحم الأجزاء) فتقوم السيارة بوظيفة محددة من مثل الحركة لنقل الركاب والأمتعة ، كذلك الحال في الكرسي الذي نجلس عليه ، فإذا التأمت قطعه ، وتضافرت عناصره الأولية ، لتؤدي وظيفة (الجلوس) عليه ، استحال إلى كرسي ، أما قطعه الأولية فليس لها اسم ، وأجسادنا هي تركيبٌ من هذا النوع معقد

للغاية ، والذي يحدث في الموت ، شبيه بما يحدث للكرسي عندما تتناثر قطعه ، وتعود إلى سيرتها الأولى ، أو للسيارة عندما تُفكك وترجع إلى وحداتها الأولية ، وأشار القرآن إلى هذه الحقيقة عندما قال ﴿ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ الأَرْضُ مِنْهُمْ ﴾ [ق : 4] .

فالجسد الذي يتحلل إلى عناصره الأولية لا ينقص منه شيء ، وبدننا في الواقع مكون من برميل ماء ، ومقدار من الحديد يكفي لصناعة مسمار صغير ، وقبضة من الكلس ، وكمية من الكبريت تكفي لرأس عود ثقاب ، وحفنة من الفوسفور ، وآثارة من اليود والنحاس ، وبقية تافهة من الفوسفور المتقد ، وكمية من الغازات التائهة ! !

فنحن باعتبارنا (مواداً أولية) في (ثمننا) لا نساوي شيئاً مذكوراً ، ولكننا في تركيبنا الإنساني لا يصل إلينا (سعر) ، لذا فالذي يبيع نفسه بالذهب يعتبر تاجراً في منتهى الغباء ! ! وعندما يموت الفرد بيولوجياً فإن البدن يتحلل بعد فترة ليرجع إلى دورة الطبيعة .

إن العنصر الواحد مثل حديد الدم ، أو فوسفور المخ ، أو يود الدرق ، أو كلس العظام ؛ مصيره في النهاية إلى التراب ، إلي دورة الطبيعة ، ليعاد تشكيله واستخدامه من جديد ، في غاية جديدة ، ونشأة مستأنفة وعالم محدث وخلق مبتكر ، قد يدخل في بشر من جديد ، أو أنسجة حيوان ، أو محتويات خلية نباتية ، فأجسادنا الزائلة خلقها الله من التراب ، وهي تيمم شطرها مرة أخرى إلى التراب ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وفِيهَا نُعِيدُكُمْ ومِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ﴾ [طه : 55] ، والذي حصل مع الموت اتسم في الواقع بصفتين جوهريتين ، سبقت إحداهما الأخرى ، فأما الخلل الأول بعد الموت والذي يطرأ على الإنسان فهو (توقف الوظيفة) فيتحول الإنسان إلى صورة جامدة ، لا يبكي ولا يضحك ، لا يتألم ولا يحس ، لا يتكلم ولا يسمع ، فإذا استقرت هذه الحالة انتقل إلى الحالة الثانية وهي (تحلل الشكل) فالميت مثل النائم ، يبقى في الفترة الأولى محافظاً على شكله ، بل يبقى اللحم حاراً ولساعات بعد الوفاة ، كما تبقى بعض الخلايا حية ، بل قد تنمو الأظافر شيئاً ما ، ثم يسيطر الموت فتبدأ (علاقات) الأنسجة بالتفكك و (ارتباطات) الخلايا بالتمزق النهائي ، كي يتفكك الجسم تماماً إلى وحداته الأولية .

والمجتمع عندما يبدأ في الانهيار في مرحلة الموت يمر بما يشبه هذه المراحل من (شلل الوظيفة) لينتقل بعدها إلى مرحلة (اندثار الشكل ودماره الكامل) .. ليتحول إلى (كومة) من الأناسي و (خردة) من البشر لا يجمعها رابط أو يضمها مثل أعلى أو يحدوها قيم عليا أو ينظمها تنسيق مشترك ، فيعيش كل فرد لنفسه ، أو يتحول الإنسان من (الشخص) إلى (الفرد) فيخسر ذلك (البعد) الذي منحه إياه المجتمع ، حينما أضاف إلى معادلته البيولوجية (المعادلة الاجتماعية) [6] ، ومن الملفت للنظر أن القرآن أشار إلى المَيْتَتَين ، فذكر موت (الفرد) ﴿ وجَاءَتْ سَكْرَةُ المَوْتِ بِالْحَقِّ ﴾ كما أشار إلى موت الأمم والمجتمعات ﴿ وِلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ﴾ [7] ، فالأجل هنا جماعي وليس فردي ، فالآجال إذاً نوعان : منها ما هو خاص بالفرد وما هو خاص بالمجتمعات ، كل من نوعية متباينة ، وهذا يعني بعبارة أخرى أن الأمم تموت ، والدول تنتهي [8] والشعوب تفنى [9] والحضارات تباد وتنهار [10] .

إن المجتمع الفرعوني حينما اندثر وطواه التاريخ ، وبقيت الأهرامات تشهد على حيوية شعب أصبحت في ذمة التاريخ ، لم يمت أفراد ذلك المجتمع (بيولوجيا)، ولم تغب عناصره الأولية في التراب ، ومازال الإنسان الفرعوني (المصري) يعيش ، ولكن باعتباره عنصراً أولياً شارك في حضارات مختلفة ، فعندما مات المجتمع الفرعوني تحول أفراده إلى عناصر أولية و (طوب) أو (لبنات) امتصها

مجتمع زاحف نام متفوق ، كون بها نفسه من (لبنات) المجتمع الميت ، الذي يلفظ أنفاسه الأخيرة ، وهكذا تحول المجتمع (الفرعوني) إلى مجتمع (روماني) ، ثم مات بدوره ليتحول إلي مجتمع (إسلامي) وهكذا طوى التاريخ بين جنبيه مجتمعات تترى، ضمها قبر التاريخ وضريح الحضارات ﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْناً آخَرِينَ ﴾ [11] مثل المجتمع اليوناني والقرطاجني والأزتيك والإنكا والويبخ والفرعوني .. إلخ ، ﴿ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزاً ﴾ [مريم : 98] .

السلسلة الذهبية . ما هي ؟

ومن خلال البانوراما التي استعرضناها من القرآن والتاريخ وعلم الاجتماع والكيمياء العضوية والبيولوجيا بل وحتى علم الأدوية ، نتوجه لتسليط الضوء على فكرة (السلسلة الذهبية) كي نفهم في ضوئها معنى الموت الاجتماعي ، وتقطع شبكة الربط الحضارية ! !

ما معنى أن (معاملة) ما في أي قطاع اجتماعي لا تمشي إلا بطريقة (الدفع ، المتتابع المستمر) مع شيء من المقبلات من (الوساطة) ؟ ! إن هذا المرض خطير للغاية ، وهو مؤشر لأزمة اجتماعية ، فالعملية الاجتماعية أياً كانت هي -إن شئنا أم أبينا ، وحتى تنجز- تتكون من سلسلة من الأفعال الاجتماعية ، يقودها الأفراد الاجتماعيون ، من خلال معادلة (حق - واجب) أي : إن الواجب الذي يؤديه فرد في سلسلة (أ) سيكون له حقاً في سلسلة (ب) مثل العلاقة بين (علاج طبي لمريض) و (استخراج رخصة قيادة سيارة في مصلحة المرور) و (نقل رسالة بريدية) فالعملة أي (الخدمة الاجتماعية) هي عملة ذات وجهين (حق - واجب) فما كان حقاً لفرد هو واجب للتأدية في ذمة آخر .

هذه العملية الاجتماعية مهمة في كل (حلقات السلسلة) بما فيهم الفرّاش وحامل الأوراق ، لأنه يكفي أن (تنام) المعاملة في (درج) موظف ، حتى تضطرب السلسلة كلها وتحل الكارثة ! ! وهذه الحقيقة القاسية والمؤسفة هي لب العملية الاجتماعية ، فإذا كانت (السلسلة الاجتماعية) مكونة من عشر حلقات بين الرئيس ، ومساعده ، والسكرتير ، والموظف المتلقي ، وحامل الأوراق ، والمدقق ، والناسخ ، والضارب على الآلة الكاتبة ، وصاحب الكمبيوتر ، والجالس خلف سنترال التلفون ، يكفي أن تضطرب (حلقة واحدة) - حلقة واحدة فقط لاغير- من هذا السلسلة كي يختل العمل بأكمله ، وهذه المشكلة هي أس الأسس في التركيب الاجتماعي ، فعندما يكون الموظف متسللاً بدون إذن [13] ، والساعي مهملاً ، والمدقق نعساناً ، والناسخ فوضوياً ، والجالس على الكمبيوتر جاهلاً ، والقاعد خلف السنترال نائماً يكفي الخلل في (حلقة مفردة يتيمة) - ولو كانت كل (السلسلة) من الذهب الخالص (24 قيراط) - أن تحل الكارثة وتقع المصيبة ، وتتوقف السلسلة أن تمر بها (السيالة الكهربية) الاجتماعية ، وبذا ينطفئ الضوء الاجتماعي ، ويذهب نوره ، ويبدأ المجتمع في التحول إلى مجتمع (نفسي نفسي) .

إن النزول إلى ساحة العمل الاجتماعي مرهق إلى أبعد الحدود ، مزعج إلى حد المرض ، مضيعة للوقت بدون مبرر (لأننا ملوك الزمان) بل ويأكل الكرامة الإنسانية أحياناً ، فلا موظف يبقى خلف طاولته ، ولا عامل يبقى مرتبطاً بعمله ، والدخول إلى الطرقات هو النزول إلى ساحة الحرب يحمد الفرد فيها الله في نهاية المطاف على السلامة ، وملاحقة المعاملات جولة في بلاد (أليس للعجائب) و(عبقر) للجن ، وإنجازها كأنه إزاحة جبل ، والسر في هذا هو تقطع (نقط الاتصال والالتحام الاجتماعية) بين (حلقات) السلسلة الذهبية التي أشرنا إليها ، فلا تعود ذهبية بل تتحول إلى سلسلة تنك ، وحديد صدأ ، والصدأ على كل حال يعني التفكك

والعودة إلى حال (الخام الطبيعي) ، فإذا اضطربت (السيالة الكهربية) الاجتماعية ، وتقطعت حلقاتٌ متعددة من سلاسل شتى ، كان ذلك مؤشراً خطيراً لتدمير النسيج الاجتماعي ، وكان معناه أن المجتمع بَعُدَ أن يكون مجتمعاً ، بل بدأ يتحول إلى (مُجمَّع هزيل) و (مافيات اجتماعية) وحوضٍ مرعبٍ لسمك القرش وقنافذ البحر والأخطبوط الاجتماعي ، وهذا المرض لن يقف عند هذا الحد بل سيقضي في النهاية حتى على تلك الجزر الطافية هنا وهناك في الأوقيانوس (المحيط) غير الاجتماعي المتخبط ، كما كانت حالة الامبراطورية الرومانية في العصور الوسطى، وفي النهاية يصبح المجتمع أمام طريق مغلق ، وعليه أن يولد من جديد ، إما بحزمة قيم جديدة بالولادة الروحية الجديدة كما فعل الإسلام مع (البشر الخام) في الجاهلية ، حيث لم يكن يهم (طرفة بن العبد) إلا قدحٌ من الخمر ، وقتالات وممارسات طائشة [14] ، أو الذوبان والاختفاء الكامل في مجتمعات قوية متفوقة ، واندثار ثقافة المجتمع ﴿ وإن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ ﴾ [محمد : 38] وقد حدث هذا في التاريخ ومازال يحدث .

أنواع المجتمعات :

ما الفرق بين مجتمع ومجتمع آخر ؟ ؟ هناك ثلاثة أنواع من المجتمعات فيما لو أردنا استخدام المصطلحات العصرية ! ! مجتمع (مضخة الماء) والمجتمع (الكهربائي) والمجتمع (الإلكتروني) ، فعندما لا تمشي المعاملات إلا بطريقة (الدفع المتتابع المستمر) ! ! فهي تعود إلى مجتمعات (مضخة الماء) فالماء يتدفق طالما بقيت اليد ملتصقة بالذراع الحديدي ، فاذا توقفت عن (الدفع) انقطع الماء وتوقف الخير ! ! وهكذا فالمعاملة التي تقف مباشرة قبل هدفها بمليمتر واحد ؛ لا تصل إلى هدفها بدون (الدفعة الأخيرة) ويعتبر كل جهد سابق وكأنه لا شيء ، فلا تولد أو ترى النور بدون الحقنة الأخيرة ! ! أما المجتمع (الكهربي) فهو الذي يتحرك بكبس الأزرار ، فتمشي المعاملة وحدها بدون متابعة إلى مقرها الأخير ، بسبب قوة كل حلقة من (السلسلة الذهبية) وهكذا تولد كل معاملة وصاحبها مطمئن إليها طالما حركّها ، وهو الذي لمسناه في الماكينة الاجتماعية الغربية أثناء العيش بينهم ، وهي من أسرار تفوقهم وقوتهم ، فلا تحتاج أي معاملة إلى متابعة أو ملاحقة ، فضلاً عن نشوء مؤسسات خاصة في المجتمع لمثل هذه الوظائف الطفيلية (تخليص المعاملات - متابعة الجوازات - تحصيل الديون الفوري !) أما المجتمعات المستقبلية مجتمعات (النبض الإلكتروني) فهي تلك التي تتربع على عرش الإلكترونيات ، ويفتح لها القرن الواحد والعشرين ذراعيه للاحتضان ، من مثل المجتمع الياباني [15] ، وحتى يمكن نقل المجتمع من عصر (مضخة الماء) إلى (الفعل الكهربي) فضلاً عن (التوهج الإلكتروني) فإن ذلك يتوقف على اتصال عناصر العملية الاجتماعية ، فإذا أدى أحد (حلقات) السلسلة عمله بفعل (جذبي بانتكاس داخلي) قعد المجتمع وشُل ، وإذا تحول إلى روح (الواجب وضمن المراقبة المتقابلة المزدوجة وبآلية النقد الذاتي) تحول إلى مجتمع (حركة الكهرباء) فإذا قفز إلى روح (المبادرة) أصبح بسرعة الومض الإلكتروني ... ولله في خلقه شؤون ! !.

مع تمزق شبكة المجتمع تدفع كل عناصر المجتمع الثمن مع كل فوائده المركبة ، حتى من هم في قمة الهرم الاجتماعي ، والسبب بسيط هو أن (الماكينة الاجتماعية) لا تعمل ، حتى الأوامر التي تأتي من فوق تفقد حرارتها كلما نزلت إلى أسفل ، فتتباطأ ويتوقف الإنتاج ، وكأنها مثل القانون الثاني في الديناميكيا الحرارية، فهي تبرد مع الوقت ، والتحرك باتجاه المحيط ، أي : إن الفعل الاجتماعي يتحول من فعل (واعٍ إرادي) إلى عمل (فيزيائي) وشتان بين الإرادة والمعدن ، والحي والجماد ، والفعل والانفعال ، والطبيعة والإنسان ، في حين أن المحافظة على

الشبكة الاجتماعية تجعل الحياة سهلة لكل واحد فيها ، ممتعة لكل فرد ، حلوة لكل من يشارك في نشاطها ، ولعل هذا هو الذي قصده القرآن حين ربط بين مفهوم (الاستقامة) والفائض في الحياة الاجتماعية (غدقاً) ﴿ وأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقاً ﴾ [الجن : 16] .

يقول المثل الإنجليزي : إن هناك قصة طريفة جرت لأربعة أشخاص أسماؤهم : (كل واحد) و (أي واحد) و (لا أحد) والرابع كان اسمه (بعض الناس) ، وكان هناك أمر مهم يجب أن ينجز ، فسُئل (كل واحد) كي ينجزه ، إلا أن (كل واحد) كان يتوقع من زميله (بعض الناس) أن يقوم به ، إلا أن (بعض الناس) غضب لأن المهمة كانت مهمة الزميل (كل واحد) ، إلا أن (كل واحد) فكر أن (أي واحد) يمكن أن يؤديها ، ولكن الزميل (لا أحد) تحقق أن (أي واحد) يمكن أن يفعلها، وبذلك كانت المحصلة أن (كل واحد) لام (بعض الناس) لأن (لا أحد) فعل ما كان يجب أن يفعله (أي واحد) ! ! .

وتحكي القصة أن ملكاً أراد اختبار محبة شعبه له ، بأن نصب في الميدان الطعام للبلد حوضاً كبيراً ، وطلب من كل فرد عربوناً لحبه قدحاً صغيراً من العسل، وفي اليوم التالي كان الحوض فارغاً ، لأن كل واحد فكر بنفس الطريقة : (وما الذي سيؤثر في الوعاء الكبير أن ينقص منه قدحي الصغير ؟ ! !) [*] .

من الأحاديث الضعيفة الواردة في رمضان

حديث : (نوم الصائم عبادة ، وصمته تسبيح ، وعمله مضاعف ، ودعاؤه مستجاب وذنبه مغفور) وهو ضعيف رواه البيهقي والديلمي وابن النجار ..

حديث : (إذا صمتم فاستاكوا بالغداة ، ولا تستاكوا بالعشي ، فإنه ليس من صائم تيبس شفتاه بالعشي إلا كانت نورا بين عينيه يوم القيامة) وهو ضعيف ؛ أخرجه البيهقي والطبراني والدارقطني .

حديث : (صوموا تصحوا) وهو ضعيف ، رواه الطبراني في معجمه ، ورواه ابن عدي في الكامل ...

حديث : (اللهم بارك لنا في رجب وشعبان وبلغنا رمضان) وهو ضعيف ، رواه البزار ...

(عن كتاب مخالفات رمضان للشيخ عبد العزيز السدحان بتصرف)

---

(1) الإنذار مصطلح طبي عن توقع حالة المرض للمستقبل .
(2) جاء في كتاب (ميلاد مجتمع) لمالك بن نبي -ترجمة عبد الصبور شاهين- إصدار ندوة مالك بن نبي -ص 15 : (المجتمع ليس مجرد مجموعة من الأفراد ، بل هو تنظيم معين ذو طابع إنساني ، يتم طبقاً لنظام معين ، وهذا النظام في خطوطه العريضة يقوم بناء على ما تقدم على عناصر ثلاثة) .
(3) كتاب ميلاد مجتمع -المصدر السابق - ص40 (فقبل أن يتحلل المجتمع تحللاً كلياً يحتل المرض جسده الاجتماعي في هيئة انفصالات في شبكته الاجتماعية) .
(4) يراجع كتاب (التحضير للقرن الواحد والعشرين) تأليف باول كندي - النسخة الانجليزية- ص 193 ، ويذكر المؤرخ أن دخل الفرد كأن في البلدين عام 1960م 230 دولار في السنة ليصبح اثني عشر ضعفاً للكوري ويبقى الغاني على حاله .
(5) يراجع قصة الميكروب تأليف (بول دي كرويف) -ترجمة أحمد زكي- بحث الرصاصة المسحورة ص339 .
(6) يراجع في هذا التحليل القيم لأوسفالد شبنجلر في أفول الغرب : عن مفهوم كم البشر الذي يضمه خليط المدن العالمية الكبرى بدون أي رباط قيم .
(7) راجع الآية رقم 49 من سورة : يونس ، والآية رقم 19 من سورة : ق .
(8) أشار ابن خلدون في مقدمته أن الهِرَم إذا نزل بدولة فلا يرتفع ، لأن لها أجلاً طبيعياً راجع المقدمة ص 293 - 294 .
(9) راجع القصة المروعة لفناء شعب الويبخ في شمال قفقاسا من خلال القصة الدرامية (آخر الراحلين) .

(10) راجع مختصر دراسة التاريخ للمؤرخ البريطاني (توينبي) عن انقراض 23 حضارة من أصل 28 حضارة مرت على ظهر البسيطة .
(11) مالك بن نبي ، المصدر السابق ص 100 .
(12) ميلاد مجتمع - ص 8 : ولقد تكون الاستعارة في صورة أخرى عندما تكون الحالة إعادة تركيب أنقاض مجتمع أو مجتمعات اختفت ، ومن أمثلة ذلك : أن المجتمع الروماني امتص في سبيل بنائه كثيراً من المجتمعات التي اختفت . هامش غير مشار إليه (ماس) .
(13) تأمل الآية رقم 62 - 63 من سورة النور] وإذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ [الآية .
(14) يراجع في هذا معلقة طرفة بن العبد ، ولولا ثلاث هن من عيشة الفتى .
(15) يراجع في هذا كتاب آفاق المستقبل - جاك أتالي - عن تحول القلب الصناعي في المحيط الهادي باتجاه طوكيو ، وكذلك كتاب (اليابان الذي يستطيع أن يقول لأمريكا لا) تأليف عضو الدايت الياباني (شينتارو إيشيهارا) .
(*) الأخ الكريم كاتب المقال طبيب استشاري (جراحة أوعية دموية) ، له اهتمامات وأعمال فكرية منشورة ، ومن أشهرها : (الطب محراب الإيمان) و (في النقد الذاتي) وقد لا نتفق معه في بعض طروحاته الفكرية ، إلا أن بعض كتاباته متميزة ، ومنها هذا المقال الذي ربما يثير حواراً مفيداً - البيان - .

المسلمون والعالم

الجزائر

حزب فرنسا .. حرب فرنسا !

د/ عبد الله عمر سلطان

الحديث عن الجزائر ونزفها المستمر يدخل تحت تصنيف (السهل الممتنع) ؛ سهل ؛ لأن توالي الأحداث وتفاصيل الأخبار لازال يؤكد حقيقة هامة صارخة وهي أن استئصال التيار الإسلامي من الأرض الجزائرية بحجة محاربة الإرهاب قد جرت البلاد إلى حرب أهلية بمعنى الكلمة ، وأن الطرف الذي اختار هذا الطريق الملغوم قد كشف بعد عام من مسرحية صعود القيادة الجديدة أن الرصاص والبطش خياره وحسب ! !

أما الصعوبة فهي أن الحدث بالرغم من بساطة مكوناته قد أحاطت به أكوام من المعالجات الإعلامية والفكرية التي تحاول أن تعالج النتيجة ولا تقرب السبب وأن توجد إجابات للأسئلة الملحة دون النظر إلى الحقيقة التي أنجبت هذا المولود البائس المسمى بالحالة الجزائرية .

بعض المعطيات أصبحت في حكم القناعات التي لا تقبل الجدل والنقاش ، وكثير من التضليل تم مزجه بقليل من الحقيقة حتى يذر الرماد في العيون وينشغل المتابع في جزئيات وفرضيات دون المساس بالجوهر أو التطرق إلى أصل الداء والعلة ..

ولعلنا هنا نطرح ثلاثة أسئلة مهمة لفهم الواقع الجزائري - بعد مرور أكثر من عام على تولي الحكومة الجزائرية للسلطة - وهذه الأسئلة كفيلة بأن تنقلنا لاستعراض أهم العناصر التي تشارك في صنع المأساة الحالية .

- أول هذه الأسئلة المهمة والملحة تقول : حينما قبلت الحركة الإسلامية - ممثلة في جبهة الإنقاذ - أن تشارك في الانتخابات النيابية وفازت بها ... هل كانت نتيجة الفوز المحتمل تساوي الواقع المأساوي الذي دمر البلاد وأهلك الحرث والنسل ؟ ؟

- هل كان القادة العسكريون يظنون أن الشعب الجزائري سيرضى بأن يسرق خياره ثم يصمت ؟ أم كان متوقعاً أن يكون هناك نوع من المقاومة المحدودة التي

يتكفل الكلاشنكوف بإسكاتها ؟ ؟
... ثم ، مع تشعب الأزمة واستفحالها ، هل كان التدخل الدولي محتملاً ؟ .
وهل أصبح اتهام الأطراف المتقاتلة بالارتباط الخارجي تهمة وإشاعة أم حقيقة واقعة يستفيد منها طرف في النزاع دون الأطراف الأخرى .. ؟
وبما أن المشهد الجزائري ملتهب بما فيه الكفاية فربما اكتفينا بهذه المحاور الثلاثة التي تشكل الأسئلة والمنطلقات الرئيسة التي تطل برأسها مع تصاعد الأحداث وتشابك عناصر الأزمة .

الصمود الذي فاق التوقع :

كان قادة (ما يعرف الآن بالفريق الاستئصالي) يدركون حتماً ما كانوا يقدمون عليه حينماً قرروا إلغاء الجولة الثانية من انتخابات 1991م وما رافق هذا القرار من إجبار لرئيس الدولة (الشاذلي بن جديد) على الاستقالة بصورة فيها الكثير من الإهانة والذل لرمز من رموز (حرب التحرير) وزعيم البلاد (الدستوري) .. ، كان الإتيان بـ (محمد بو ضياف) ليلعب دور (التيس المستعار) الذي يتحرك من ورائه قادة الانقلاب يمثل في الحقيقة احتراق آخر أوراق الشرعية التحريرية التي تتكئ على تجربة الاستقلال عن فرنسا وبدء مرحلة جديدة تتسم بالارتباط المباشر بالفرانكفونية والعداء الشديد للإسلام والعروبة ، كان (الحركيون الجدد) يملؤون الفضاء الإعلامي وينحشرون في كل خلايا أجهزة الدولة المتهرئة ، وكما كان (الحركي) السابق مرتبطاً بالمستعمر الفرنسي ومحارباً في صفوف جيشه ومخابراته خلال حرب الاستقلال السابقة فإن (الحركي) الجديد كان يحارب أهله وشعبه معتقداً أن الانحياز لثقافة وفكر العلمنة المتفرنس سيضمن له البقاء في السلطة والتمتع بخيرات البلاد ومواردها .

يقول (ستيفن أندرسون) : (لم يكن أحد يتوقع - بعد إلغاء الانتخابات - أن تتسع دائرة الحرب إلى هذا المستوى ، وأن تبلغ هذه المرحلة من التصعيد الكثيف ، لقد أخطأ القادة العسكريون وحلفاؤهم في الخارج التقدير ، فخلال ثلاث سنوات من الحكم البوليسي برزت ظاهرة الفرز الجماعي الحالي ، وأصبح الشارع الجزائري منقسماً إلى تيارين : أقلية مرتبطة بالفَرْنَسَة والعلمنة تحكم وترفض أنصاف الحلول، وغالبية متعاطفة مع العروبة والإسلام تقذف كل يوم بفلذات أكبادها لرفض أنصاف الحلول الأخرى ...) .

(أحمد بن بله) الرئيس الجزائري السابق الذي لا يمكن وصفه (بالأصولية) يلقي بتفسير لهذا التعاطف الذي أدى إلى أن يقف سواد الجزائريين خلف المشروع الإسلامي بقوله : (هناك أوساط غربية تخشى ما يسمى بالتيار الإسلامي ، وهناك تفسير خاطئ للصحوة الإسلامية نفسها ، إنهم يعتقدون أنها ظاهرة سببها الفقر واليأس ، قد يكون البؤس جانباً من هذه الظاهرة ، ولكن الحقيقة هي نظرة المسلمين المختلفة إلى المجتمع الاستهلاكي المادي ومظاهر البعد عن الله ، وجبهة الإنقاذ قدمت مشروعاً يحترم قيم المجتمع ويحاول إيجاد الحلول لمشاكله ، ومع أن الجبهة منغلقة على نفسها لكنهم في نظر الجزائري وفي نظري أناس أوفياء شرفاء يضحون من أجل مبادئهم ، إن عناصر الإنسان (الثوري) الشريف موجودة فيهم ... (عباسي مدني) كان جندياً في الجيش الجزائري أيام حرب التحرير ، وكذلك كان عدد كبير من قادة جيش الإنقاذ ... إنهم مناضلون .. والمشكلة الكبرى أن الأرض الجزائرية قد تحررت لكن بقي الاستعمار حياً في تشريعات الدولة ومناحي الحياة الثقافية المرتبطة بفرنسا ، اليوم -باختصار- تنظر فرنسا إلى الجزائر وكأنها مستعمرة ، ولذا : فالشعب بالأمس واليوم ضد الغاصب ومع المناضل من أجل إعادة هويته) .

أما مراسل التلفزيون الإيطالي فقد علق على ظاهرة الصلابة في الصمود بأنه: (نابع من معطيات الشارع ونبضه ؛ فالإسلاميون أصبحوا القوة (الظاهرة) الوحيدة التي لم تلكها الألسن في قضايا الفساد أو شراء الذمم ، وهم الطرف الأقوى سياسياً وعسكرياً ، وعندما دعا (علي بلحاج) أركان النظام الجزائري إلى مناظرة تلفزيونية، يكون للشعب الجزائري الرأي الأخير في الحكم على الطرفين ، فإنه كان يعلن بكل وضوح بأن الشعب معنا وأن التدليس والدجل الإعلامي لا يتحمل مجرد مناظرة من عدة دقائق .. !)

هذه المعطيات دعت إلى التساؤل عن قدرة الحل العسكري على الاستمرار ؛ فبالرغم من أن النظام ظل يعلن أن حملته التي بدأت في التصعيد قبل ثلاثة أشهر للقضاء على كل الجماعات المسلحة التي يزيد عدد أفرادها عن خمسين شخصاً إلا أن فشله كان واضحاً ، مما دفع أحد المراقبين إلى التعليق بسخرية قائلاً : (لا شك أن خبراء الأجهزة الأمنية سيكونون مدينين للسلطات الجزائرية إن هي أمدتهم بالطريقة السحرية التي اعتمدتها في القضاء على هذه المجموعات التي عادت لتوجه صفعة قوية باختطافها الطائرة الفرنسية في أكثر المواقع الحيوية في الجزائر ، ولتثبت للجميع الإعلام العالمي الغربي والجزائري قد أصبح مخنوقاً بدرجة فظيعة ، إن هذه الدولة - التي لم تعد تملك سوى ميلشيات ومجموعة ضئيلة من المؤيدين أصحاب السمعة السيئة والوزراء المتخبطين - تشكل في النهاية عامل ترجيح للجماعات التي حوصر قادتها في السجون فانطلق الشباب في هياج يحرق الأرض ويدمر ما أمامه ...)

الكلاشنكوف في النهاية ولد كلاشنكوفات كثيرة في أيدي الشعب ولم ينجح في حل الأزمة !

الواقع القائم وتسويق خطر الأصولية :

يمكن القول اليوم أن قادة التيار الاستئصالي من العسكر قد فهموا قواعد اللعبة الدولية باكراً عندما صرحوا بعد إلغاء الانتخابات بأنهم الورقة الوحيدة القادرة على الوقوف أمام (الخطر الأصولي) ! ، وفي خضم تسويق هذا الخطر وقعت الدول الكبرى في شَرَك التناقض الذي يمتد من البوسنة إلى الشيشان ، والذي يترجم إلى حرب شرسة على الأجساد المسلمة فضلاً عن الحرب على الأفكار الداعية إلى تحكيم الإسلام وشرائعه .. ، وسيقف المؤرخون يوماً (قد لا يكون بعيداً) لكي يتأملوا كم كان الزيف والنفعية والنظرة القاصرة والعجلى قد انتهت لصالح المشروع الإسلامي عندما كشف الغرب عن حقده وانحيازه ، وكيف داس على مُثُل الديموقراطية (التي يدعي حمايتها) وساند تياراً استئصالياً نزقاً دون مراعاة للشعوب التي لا يزال فيها بقية من أنفة ..

كان الفرانكفونيون والعسكر واللصوص يعلنون بأعلى صوت (المد الأصولي قادم) ثم لا تلبث فرنسا وحليفاتها أن يهرعوا ويهرولوا ليدعموا بأي وسيلة تصفية ذلك (الشبح) دون التحقق أو التمعن في مضمون الملف الجزائري فضلاً عن المجاملة لشعب اختار - لأول مرة - من ينطق بأحلامه ورؤاه .

دَغدَغ التيار الاستئصالي القوم وضرب على الوتر الحساس ، فكانت ثلاث سنين من الرعب والدم والقهر ، وجر البلاد إلى دوامة الدمار وخراب الديار .. مراسل هيئة الإذاعة البريطانية زار مناطق من الجزائر تسيطر عليها الجماعات المسلحة التي خرجت من رحم الأزمة وتزودت من المعين نفسه الذي غرف منه قادة الانقلاب ... العسكر كانوا ينادون بالاستئصال والضرب في السويداء ، والشباب الذين غُيب قادتهم في المعتقلات لجأوا إلى الجهاد ... يقول المراسل : (من الصعب أن تقارن بين حماس الشباب المسلح وحكمة الشيوخ المعتقلين ، ومن الصعب

التفاهم اليوم مع شباب أخذوا حقهم بأيديهم وتمتعوا في مناطق واسعة بنفوذ وشعبية لوقوفهم ضد النخبة الحاكمة المقطوعة عن الشعب وقواعده ، كان بالإمكان أن تجنب البلاد خطر هذا العنف الدموي - وبالإمكان تجنيبها مزيداً من الخراب - لو أن الشارع الجزائري مارس خياره الأصولي ... وهذا ما يقوله كثيرون من الذين قابلناهم وهم يرددون : بالله عليكم (حكم قال الله قال الرسول) أم هذا الانتحار الجماعي والتدمير الذي لم يترك مجالاً من مجالات الحياة إلا مَسَّه) .

لقد فطن المجتمعون في روما من قادة الأحزاب المؤثرة هذا المنطق وإن جاءت القناعة متأخرة ، فالتخويف من الإسلاميين الذي شارك فيه بعض هذه الأحزاب قد أدى إلى تلاشي أي نشاط سياسي أو مبادرة لانتشال البلاد من الحرب الأهلية ، وأصبح دورهم بمثابة القنطرة التي تعبر عليها جنازير الدبابات العسكرية التي تصر على لغة الحديد والنار ... أحد قادة حزب التحرير قال خلال وجوده في روما : (الحقيقة مغيبة عن العالم تماماً ؛ هناك دولتان في الجزائر ، واحدة في المدن والمعسكرات والقواعد العسكرية ترتبط بالبلاد عبر جهاز القمع الذي يسمى (النيجا)، وآخر يسيطر على الأرياف ومحيط المدن والمدن ذاتها بعيد الظلام ليلاً ..)

والحكومة غاضبة أشد الغضب لأن بعض وسائل الإعلام نقلت شيئاً من هذا الواقع ؛ لأن المطلوب عزل الجزائر عن الرأي العام نهائيا حتى يتم تنفيذ حلم فئة العسكر المحدودة العدد والشعبية ، إن الإجابة على هذا المحور لن تنتهي قريباً كما يبدو ، فطالما أن هناك شبحاً تزداد السهام الموجهة إليه ، فإن ازدياد القمع والقتل سيكون مبرراً في العواصم الكبرى طالما أن سوق (الخطر الأصولي) تلقى مزيداً من المضاربين في بورصة السياسة الدولية .

حرب فرنسا :

مقابل اتهام الإسلاميين من قبل النظام بارتباطات خارجية ، كانت الشهور الماضية تشهد أكثر من اتهام الإسلاميين لخصومهم بأنهم حزب فرنسا .. كانت تشهد تحولاً من (حرب حزب فرنسا) ... إلي شطب الكلمة الوسطى لتصبح المرحلة معنونة (بحرب فرنسا) ، والاتهام لا يطلقه الإسلاميون فقط بل إن بعض الساسة الفرنسيين أخذوا يحذرون من الوقوع في حبال (المصيدة الجزائرية) كما صرح الرئيس الفرنسي السابق جيسكار ديستان ، الذي طالب حكومته بالتفريق بين النضال ضد الإرهاب - وهذا الذي يجب أن يكون قائماً وبلا تحفظ - وبين الدعم غير المشروط وغير المحدد الذي يقدم للسلطات الجزائرية ، وهو قريب من موقف قائد الاتحاد الديموقراطي الفرنسي (جان دونيو) الذي طالب حكومته بالحياد في هذا النزاع .

لكن التمني والمطالبة شيء والواقع شيء آخر ، فقد أبرز اختطاف الطائرة الفرنسية للعيان كم هي ضالعة - فرنسا - في الحدث الجزائري ، ويكفي هنا أن نذكر ما نقلته الصحافة العالمية عن رئيس الوزراء الفرنسي (إدوارد بلادور) الذي طلب من الحكومة الجزائرية أن تسمح للطائرة بالتوجه إلى فرنسا ، وحينما تردد (مقداد سيفي) رئيس الحكومة كان الطلب الفرنسي يحمل صيغة الأمر (Exiger) مما أدى إلى توتر في العلاقة بين العاصمتين وانتشار روح التذمر في الشارع الجزائري من هذا التدخل الفرنسي المباشر في الأحداث والمساس بالسيادة ! !

ويمكن تلمس هذه المشاركة الفرنسية المباشرة من خلال الدعم الاقتصادي المباشر للحكومة العسكرية المتمثل في إعادة جدولة الديون وممارسة ضغط على المجموعة الأوربية للتخفيف من حدة الأزمة الناتجة عن ديون خارجية تتجاوز 70 مليار فرنك فرنسي ، كما قامت فرنسا بفتح اعتماد جديد للحكومة الجزائرية يتجاوز المليار دولار لتمكينها من شراء المواد الأساسية ، ولولا هذا الدعم المباشر لانهار نظام

الحكم في ظل الفساد وتراجع العائدات النفطية ، أما في مجال الدعم العسكري فإن الصحافة الفرنسية والعربية قامت بنشر تفاصيل الصفقة التي تضم آليات جديدة وطائرات (مروحية) وأجهزة قتال ليلية والإشراف على تدريب عناصر الجيش الجزائري في البلدين ، كما أن البصمات الأمنية الفرنسية أصبحت معروفة حيث ترفض فرنسا أن يقوم الجيش الجزائري بحماية المصالح الفرنسية في البلاد ، وتقوم قوات أمنية فرنسية بهذه المهمة ! ! وأخيراً يبرز الغطاء السياسي المباشر الذي يقوم به الحكم الفرنسي لصالح الحكم العسكري حيث أصبح من أشد أنصاره ، ويكفي أن يشار هنا إلى الانتقادات الفرنسية المتكررة لدول التحالف الغربي لعدم حماسها لمشروع الدولة العسكرية الاستئصالية في الجزائر ، الذي تتردد بريطانيا وألمانيا وأمريكا في دعمه علناً .

المشهد الحاضر يجعل من حرب فرنسا مهمة صعبة ، لأنها جربت قبل عقود قليلة أن تمارس سياسة العصا الغليظة تجاه شعب الجزائر ، فكانت الكارثة ، ومع مرور الأيام - المليئة بالدمار والهلع - انْزَلَقَتْ فرنسا مرة أخرى في المستنقع الجزائري بعد أن أثبت (الحركيون الجدد) أنهم لا يستطيعون أن يديروا رحى الصراع مع الشعب المنكوب .

يقولون : (التاريخ يكرر نفسه) .. لكن ، من يصدق أنه يفعل ذلك بهذه السرعة ؟ ! .

قطوف رمضانية

الصوم مناط لتحقيق العبودية ، وهي الوصف الذي نُعت به كل من اصْطُفي من الخلق ، قال الله (تعالى) : ﴿ واذْكُرْ عِبَادَنَا إبْرَاهِيمَ وإسْحَاقَ ويَعْقُوبَ أُوْلِي الأَيْدِي والأَبْصَارِ * إنَّا أَخْلَصْنَاهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ * وإنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ المُصْطَفَيْنَ الأَخْيَارِ ﴾

(رسالة العبودية لابن تيمية ص 85)

المسلمون والعالم

العلاقات السودانية الإرترية ودوافع التعكير

د/بلال محمد

لقد كان المتوقع من إرتريا الحديثة تعزيز علاقاتها بالسودان ، وتنمية علاقاتها معها ، - على الأقل - مع أولويات مرحلة ما بعد الاستقلال ، ودفعاً لمعوقات خطواتها التنموية ، ولكن يبدو أن قلق الرئيس النصراني (إسياس أفورقي) من المد الإسلامي في القرن الإفريقي بعامة وإرتريا بخاصة ، أبعده عن اتخاذ القرارات الصائبة في حل متاعبه الداخلية ، وترتيب علاقاته ، وتذليل تعرجات المسيرة بالتي هي أحسن ، فآثر الجنوح إلى المصادمة مع الحركة الإسلامية الإرترية بدل المسالمة، وانشرح صدره لسياسات الكبت والقهر ، وتكميم أفواه شعبه ، وانساق لروح الكراهية والتعصب المقيت ضد جاره المسلم تآلفا وتضامناً مع الاتجاهات المعادية للتوجه الحضاري الإسلامي - رغم أن السودان بنظامه الحالي كان عضده الأيمن في دعم أهداف الاستقلال ، والمبادر الأول إلى تقديم العون المادي والسياسي -إذ أسكت صوت المعارضة دون تفريق بين الإسلاميين وغيرهم ! ! . بيد أن ذلك لم يشبع نهمة (إسياس) ولم يجعله يكف عن شروره ، بل راح يكيل للسودان التهم

ويحمله - استجداءً للغرب ، وصرفاً للأنظار عن مشكلاته الداخلية - نمو الحركة الإسلامية الإرترية وتصاعد أنشطتها السياسية والعسكرية ، هذا بعد أن كان من قبل يعزو وجودها -تنفيراً وتشويهاً- إلى الدعم الإثيوبي في عهد منجستو ، ثم عزاها بعد الاستقلال إلى ما زعمه من دعم خارجي ! ثم ادعى القضاء على الحركة الجهادية الإسلامية وإنكار وجودها ، ثم أخيراً العودة إلى عزو تناميها - في الآونة الأخيرة - إلى دعم الحكومة السودانية ، وهكذا بقي (إسياس أفورقي) حائراً مضطرباً في تصريحاته بشأن تزايد ثقل الحركة الإسلامية الإرترية ، والوقوف من كل معارضيه السياسيين مواقف متطرفة دائماً ، متثاقلاً عن الحوار بتصعيد حملات الاعتقال والاختطاف والاغتيال - حتى مع شركاء النضال والتحرر - تحت ذريعة تطهير الجيش من العناصر المشاغبة والانقلابية [1] ، حيث صفّت أجهزته القمعية في سبتمبر 1994م عدداً كبيراً من معاقي حرب التحرير الذين خرجوا من معسكراتهم قرب العاصمة (أسمرا) تعبيراً عن معاناتهم الإنسانية ، وتظلماً من تقاعس النظام وعجزه عن رعايتهم .

والإسلاميون في إرتريا توقعوا من قبل هذه المواقف العدائية من (إسياس) وحذروا مراراً من خطورة توجهاته الشعوبية ، ولذا لم يفاجؤوا بسياساته الاستعدائية، فمن الأهمية بمكان لـ (أفورقي) أن يرى المشروع الإسلامي في السودان وقد قُوض ، وعندها تتحقق أطماع (إسياس) السياسية والثقافية بمنع المسلمين في إرتريا من سند المقاومة والممانعة ، من هنا اندفع (إسياس) نحو الارتباط (بإسرائيل) واقتفاء أثرها في مكافحة المد الإسلامي الذي يراه خطراً على أمن المنطقة [2] .

وطبقاً لهذا الإحساس ، وانطلاقاً من هذا الشعور كان (إسياس) أكثر رؤساء (إيقاد) [3] ، تفاعلاً مع مشروعها المطروح لحل مشكلة جنوب السودان ، والقاضي بإلغاء النظام الحاكم في السودان وإقامة نظام علماني بدلاً منه شرطاً أساساً للاستقرار [4] .

وقد حظي هذا المشروع بتأييد ومناصرة منظمة التضامن المسيحي العالمي في بون ومنظمة الإخاء المسيحية الهولندية [5] ، وتبنته أحزاب العلمنة السودانية ، وسبق أن طرح الرئيس الأمريكي الأسبق (جيمي كارتر) نظيره عام 1989م أثناء وساطته بين الحكومة وقيادة حركة (جون جرنج) في لقاء نيروبي [6] .

لكن إصرار الحكومة السودانية على الرفض حمل (إسياس) على الخروج من طور ادعاء الإصلاح إلى طور العداء المعلن ، معتقداً أن ذلك سيحقق له كسباً سياسياً وثقافياً واقتصادياً ، بما يبرهن للقوى الصهيونية على إخلاصه في أداء دور التخريب المتعمد ضد السودان من بوابته الشرقية ، وكان فعلاً قد سبق ذلك بفتح معسكرات تدريب لعناصر الجنوب المتمردة ، وقدم السودان شكواه إلى منظمة الوحدة الإفريقية متهماً إرتريا بالتعاون مع إسرائيل في تدريب عدد من المتمردين الجنوبيين [7] .

وبات من المؤكد لدى السودان حسبما نقلته جريدة الحياة عن مصادر سودانية مطلعة (أن القوات الجوية الإسرائيلية تبني الآن قاعدة قرب مدينة (أومال) في غرب إرتريا في مكان لا يبعد كثيراً عن الأراضي السودانية ، وأنه رصدت حركة لطائرات هليوكبتر ، ولوجود مهندسين وعسكريين من إسرائيل يشرفون على الإنشاءات المدنية للمشروع) [8] .

هدف أفورقي من هذا الإجراء :

وتهدف هذه الإجراءات إلى عزل الشعب الإرتري عن خلفيته الاستراتيجية ، وإيجاد عداءات لا مبرر لها بينه وبين الشعب السوداني ، ووضع حواجز بين الشعبين للحيلولة دون تعميق الثقافة الإسلامية ولغتها العربية في المحيط الإرتري ،

لأن حالة التواصل بين الشعبين ستؤدي حتماً إلى تغلب الثقافة الإسلامية على سياسات (التجزئة) و (العلمنة ذات الاتجاه الصليبي) لاسيما أن (إسياس) يعزو ذيوع اللغة العربية في إرتريا إلى جهود معلمين سودانيين في عهد الاستعمار البريطاني [9] ، ويخشى أيضاً من أن يكون لهم هذا الدور نفسه في بث الوعي الإسلامي حالياً ، ولذا : لم يكن غريباً منه أن يصدر قراراً بإبعاد السودانيين المقيمين في إرتريا عقب قطع العلاقات الدبلوماسية وإغلاق الحدود .

وتَعَمَّد (إسياس) إحداث هذه الوقيعة والقطيعة بين إرتريا والسودان لأسباب مفتعلة ، وبجانب ما يعكسه لنا من استعداده للعمل في معسكر العداء الإسلامي يكشف لنا من ناحية أخرى لجوءه إلى استخدام وسائل الحرب النفسية لسلب الذات الإسلامية الإرترية اطمئنانها النفسي ، وذلك من خلال التأكيد لها أن بمقدوره الانقضاض على خلفيتها الإسلامية في السودان كما تغلّب من قبل وقهر في مرحلة ما قبل الاستقلال كياناتها العسكرية والسياسية بالتحالف مع (تجراي) امتداده الديني والثقافي مستغلاً خلافاتها السياسية وانحرافاتها الفكرية ، كما أنه على المدى البعيد يرمي إلى بناء قوة (تجراي تجرنيا) المكونة من إرتريا وإقليم (تجراي) الاثيوبي والمدعومة من إسرائيل ، يكون المسلمون فيها أقلية مقهورة ومعزولة ، لاسيما أن ثمة تقارير سياسية تشير إلى أن إثيوبيا مقبلة على مرحلة من التمزق والتفتت القومي بما يمنحه الدستور من حق لكل قومية في الانفصال والاستقلال [10] .

وقد كان هذا الهدف مطلباً مطروحاً في الخمسينات في فترة تقرير المصير من الأب الروحي لنظام (إسياس) : (ولدآب ولدماريام) .

وهذا يتطلب ضرورة إيجاد مناخ مناسب وملائم ، ومن ثم لا عجب أن يعكر (إسياس) صفو علاقات إرتريا مع السودان بتوجهه الإسلامي ، ويمتِّن في الوقت ذاته صلاته بإسرائيل الصهيونية ، ويشارك في قمع الإسلاميين بأوجادين ، ويؤكد أهمية ما أقدم عليه من إبرام عقد الكنفدرالية مع إثيوبيا مصرحاً أنها : (إحدى الصيغ المطروحة للاندماج مع هذا البند ..) [11] . دون أن يقول لنا من الذي طرحها ، ومتى .

وعلى كل حال ، فإن ما يجري ما هو في نظرنا إلا شرٌ بيِّت بلندن عام 1991م عند البت في المسألة الإرترية عقب سقوط (منجستو) بين الثلاثي المنتصر (إسياس أفورقي ، وملس زناوي ، وكوهين اليهودي) .

فاللهم فرق صفوف الأعداء واجعل بأسهم بينهم ، وأخرج إخواننا المسلمين منهم سالمين ، ولله الأمر من قبل ومن بعد .

فرص رمضانية

* كان النبي -صلى الله عليه وسلم- يعتكف في كل رمضان عشرة أيام ، فلما كان العام الذي قبض فيه اعتكف عشرين يوماً .

(أخرجه البخاري)

* قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- (عمرة في رمضان تعدل حجة)

أخرجه البخاري ومسلم .

* (من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه)

أخرجه البخاري ومسلم

---

(1) نجا القيادي البارز في الجبهة الشعبية ومسؤول هندسة المتفجرات (سليمان هندي) من محاولة اغتيال في بور سودان دبرها له جهاز استخبارات الجبهة الشعبية لمجرد اختلافه مع (إسياس أفورقي) ، وتمت تصفية (إبراهيم عافة) أحد رفاق (إسياس) داخل الميدان وأشيع أنه قتل في معركة مدينة (بارنتو) ، كما جرت عام 1992م في كسلا محاولة اغتيال (آدم مجاوراي) أحد عناصر حركة الجهاد الإسلامي الإرتري ، ووفقاً لما نشرته الحياة 16 ديسمبر 1992م نقلاً عن

مصدر سوداني أن إرتريا أرسلت عناصر من الاستخبارات إلى داخل الأراضي السودانية لاغتيال أشخاص سودانيين وإرتريين وكلما أراد النظام التخلص من معارضيه في داخل أجهزته الإدارية والعسكرية اتهم العنصر المستهدف بعد تصفيته بالإدمان والانتحار ؛ كما فعل مع (عبد الله داود) أحد الكوادر الإدارية العالية ، أو سعى إلى طمس معالم الجريمة واكتفى بتقييدها ضد مجهول كما كان الشأن مع موت .
(عمار المذيع) ، أو تبرأ منها باختلاق حادث مروري كما علل موت القائد العسكري .
(داني) .
(2) انظر تصريحه في واشنطن بوست 14 / 10 / 1991 م ، ومقابلة المفوض العام لإرتريا في فرنسا (دانيال يوهنس) في مجلة الوسط 15/ 2/ 1993م .
(3) (إيقاد) هو اختصار لاسم : (الهيئة الحكومية للتنمية ومكافحة الجفاف) ، وتتألف من الرئيس الإرتري (إسياس أفورقي) والإثيوبي (ملس زناوي) والأوغندي .
(موسفيني) والكيني (دانيال آراب موى) ، وكلهم نصارى .
(4) انظر مقابلة في وزير خارجية إرتريا (بطرس سلمون) في جريدة إرتريا الحديثة 10 / 8 / 1994م .
(5) انظر الحياة 30/ 6/ 1994م .
(6) انظر مقابلة (صلاح محمد إبراهيم) عضو وفد الحكومة في مفاوضات نيروبي ، جريدة الشرق الأوسط تاريخ 30/2/1989م ، وجريدة الحياة 18/12/ 1994م .
(7) انظر مجلة (الأمان) ، البيروتية عدد (105) بتاريخ 20/5/1994م .
(8) الحياة 16 / 12 /1994 م .
(9) انظر مقابلة (إسيلس أفورقي) في جريدة (ألوان) السودانية 25/ 6/ 1988م .
(10) انظر تقرير النائب الديغولي الفرنسي (أكزابيو دينو) عن دول القرن الإفريقي إلى أعضاء مجلس النواب الفرنسي ، نشرت فقرات منه في الحياة 17/10 /1994م .
(11) انظر تصريح (إسياس) في الحياة 25/4/1994م .

المسلمون والعالم

نظرات في واقع المسلمين في الفلبين
-بحث ميداني-

الحافظ يوسف موسى

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه .
وبعد ..

فإن المتابع لمسيرة الدعوة الإسلامية بين النصارى الوافدين لدول الخليج العربي منذ عام 1405 هـ حتى اليوم يلحظ أن الفلبينين هم أكثر النصارى اعتناقاً للإسلام ، حيث كانت نسبتهم من بين كل المعتنقين للإسلام في 76% ، ولكن لا معنى لفرحنا بذلك ما لم نهتم بهؤلاء الإخوة المهتدين اهتماماً خاصاً يليق بدخولهم في الإسلام وبقربهم منه ؛ ولهذه الأسباب قمت بزيارة للفليبين لدراسة أحوالهم عن كثب، فوجدتهم بهذا الإقبال نفسه وأكثر منه في بلادهم ، لعوامل كثيرة متوفرة هناك .

ومن الطرافة أنني وجدت نصارى الريف لا يزالون يحافظون على بعض القيم الإسلامية ، وذلك لأن الفلبين كان بلداً مسلماً ، وقد بدأ التنصير فيه قبل قرنين بعد وصول البرتغاليين بقيادة ماجلان الذي وضع أول كنيسة في منطقة (سيبو) وقد قتله سلطان من قادة المسلمين من أبناء الفلبين اسمه (لابو لابو) كما يشهد بذلك تاريخ الفلبين الحديث .

وبلاد شرق آسيا لم تزل في معظمها بلاداً إسلامية مثل ماليزيا وأندونيسيا وجاراتها ، ماعدا جزر الفلبين التي تقلص المسلمون فيها إلى أقلية ، وذلك لأنها كانت ومازالت محط أنظار النصارى ، لموقعها الاستراتيجي الذي جعل الأمريكان يضعون بها قواعدهم العسكرية ؛ لتكون لهم مركزاً عسكرياً وثقافياً وتجارياً .

ولما كانت الفلبين بهذه الأهمية فإنه يجدر بنا أن نتحدث في البداية عن أهم قضايا الدعوة هناك ، وسأبدأ بقضية المسلمين حديثي العهد بالإسلام من النصارى

وغيرهم ، وذلك لأنهم أهم الفئات في تلك المنطقة .

أولاً : النصارى المعتنقون للإسلام ، وهم أهم الفئات للأسباب الآتية :

إن معظم النصارى في الفلبين متعلمون ، وهم من الطبقة المثقفة ، مقارنة بالمسلمين الفلبينيين بالميلاد ، الأمر الذي جعلهم ملمين بتعاليم أناجيلهم المحرفة ، مما سهل دعوتهم للإسلام عندما يقارن الواحد منهم بين ما يعتقده من أباطيل وما يجده في القرآن من حق ، ولذلك تجد المعتنق للإسلام يكون جاداً ومستقيماً وشغوفاً بمعرفة المزيد عن الإسلام أكثر من المسلم بالميلاد ، فضلاً عن وضعهم الاجتماعي والاقتصادي الذي جعلهم أكثر رفعة وتعففاً من المسلم بالميلاد الذي -أحياناً - لا يجد حرجاً في تسول الناس باسم الأخوة في الإسلام .

وهذا الوضع جعل المعتنقين للإسلام - حديثاً - أوسع فهماً ومعرفة بالأمور الشرعية وأكثر نشاطاً في الدعوة من أقرانهم من المسلمين بالوراثة .

ومن العوامل التي تساعد الشعب الفلبيني على اعتناق الإسلام تركيبتهم الطبقية من حيث الوضع الاقتصادي لأن الدولة كلها عبارة عن قطاع خاص ، ولاسيما الزراعة التي وصلت قمة النظام الإقطاعي الذي عرف في القرون الوسطى، الأمر الذي جعل الفارق كبيراً بين الفقراء والأغنياء ، مما دفع مثقفيهم إلى كراهية هذا الوضع الاحتكاري البغيض .

والمسلمون المعتنقون للإسلام - حديثاً - لهم مشكلات تتلخص في الآتي :

1- أن مسلمي الميلاد يعتبرون المعتنقين للإسلام من الدرجة الثانية ، ويظنون أن الإسلام يخصهم وحدهم ، ويظهر ذلك في علامات عدم الترحيب بالقادم لإعلان إسلامه ، ويزيد اليقين عندي في هذا الأمر إجماع كل الإخوة العرب على هذا الرأي، بيد أنني لاحظت عدم نشاط مسلمي الميلاد في دعوة غير المسلمين للإسلام ؛ فمعظم المعتنقين للإسلام عرفوه من الدعاة المسلمين العرب أو دعاة الرافضة ، كذلك لاحظت أيضاً الصعوبات التي تقابل المعتنق للإسلام - حديثاً - عندما يطلب إعلان إسلامه على يد بعض مسؤولي المراكز الإسلامية ، حيث يطلب منه مبلغ من المال إمعاناً في التعقيد ! ! وربما تقليداً للنصارى في طريقة التعميد فتحول الإسلام عند هؤلاء إلى مجرد طقوس .

2- وعلى ضوء ما ذكر آنفاً : غالباً ما تحدث مشادة بينهم حيث يكون المسلم الجديد شغوفاً بمعرفة أمور العقيدة والآخر كسولاً فضلاً عن شعوره بالحسد لكونه أقل معرفة بالإسلام من المسلم الجديد ، فعندما يصحح الأول خطأً ارتكبه الثاني في العبادة أو العقيدة تجد المسلم بالميلاد لا يقبل ذلك قائلاً له : (متى عرفت الإسلام حتى أصبحت فيه عالماً ؟) ولا تمضي لحظات حتى تجد المسلمين بالميلاد تجمعوا حول هذا لضربه ! ! ولو كان على حق ، بك قد يصل الأمر أحياناً إلى القتل - والعياذ بالله - لمجرد أنه ليس مسلماً بالميلاد ! !

3- من أكبر مشكلات معتنقي الإسلام - حديثاً - فقدانهم لأعمالهم وذويهم وبخاصة النساء منهم ؛ وذلك قد يكون لاكتشافها أن عملها حرام بحكم الإسلام ، أو أن يحاربها أهلها لاعتناقها الإسلام ، وهذا صراع قاس ومرير في بلد قل أن يوجد فيه المؤازر وكل شيء فيه بثمن إلا الهواء .

4- والمسلم الجديد غالباً لا يجد من يتابعه ويواسيه في مصائبه لعدم وجود مركز يختص بهذا الأمر ، مما يجعله سهل الانزلاق مع الرافضة المتأهبة لهذه الحالات أو الارتداد عن دينه عندما تشتد به المحن ولا يجد مخرجاً منها .

5- المسلم الجديد لا يعرف الفرق بين الغث والسمين ، لذلك نشط الرافضة بين المسلمين الجدد لاحتوائهم ولقد نجحوا -إلى حد كبير- في استقطابهم ، بل هناك من لم يعرف الإسلام إلا عن طريقهم لكثافة نشاطهم وتوافر كتبهم ومساعداتهم .

6- أما أكثر مكاتب المسلمين القائمة بالدعوة هناك - وبالرغم مما تقدمه من جهود - إلا أن نشاطها محصور في توزيع بعض الكتب وقليل من حلقات تحفيظ القرآن ، لكنها لا تقوم - بما فيه الكفاية من المتابعة والتقصي وراء المسلمين أصحاب المشكلات الذين يحتاجون إلى الدعم والمؤازرة [*] .

ثانياً : المسلمون بالميلاد :

هذه الفئة مارس الاحتلال البرتغالي والأسباني - والأمريكي مؤخراً - معهم طريقة جعلتهم أقل تعليماً وأكثر تخلفاً ، مع أنهم يقطنون في أخصب الأراضي الزراعية في جنوب الفلبين ، وهم الوحيدون المتمتعون بالدعم الكبير الذي يصل إليهم من بلاد المسلمين ، مع العلم أن هذا الدعم لا يوزع إلا على السلاطين وقليلين من غيرهم ؛ الأمر الذي جعلتهم في وضع طبقي أيضاً ، فهناك فئة في تخمة من الشبع وفئة تتضور من الجوع .

وأكثر الفئات مهضومة الحقوق هي فئة المجاهدين والمرابطين في الثغور ، والحقيقة أنهم هم أولى الفئات بالدعم .

هذه التركيبة جعلت الفئة المتنعمة غارقة في الكسل والخمول ، والفئة الثانية حاسدة ومنتظرة للمزيد من الدعم لتحسين حالهم بدلاً من الكد والمثابرة لتحسين الأوضاع بطرق الكسب الشريف .

ولقد وجدت ظاهرة جديدة تأكيداً للكسل حيث أصبح عدد من مسلمي الميلاد يبيع أرضه للنصارى ويهاجر إلى المدينة في شمال البلاد ، وذلك بخطة من الكنيسة التي عجزت عن تنصيرهم فعمدت إلى إخلائهم بشراء الأرض وتسليمها للنصارى ، أملاً في تحويل المنطقة إلى منطقة نصارى مغلقة .

بجانب هذا الوضع السيئ فلقد أحيا الأعداء فيهم نعرة قبلية مقيتة تلاحظها في سوء العلاقات بين القبائل حتى بلغت درجة القطيعة والحرب ، وجعلت الرجل لا يتزوج من غير قبيلته ظناً منه أن القبيلة الثانية كافرة ! ! ، هذا مع غلاء المهور الفاحش الذي لا يتصوره العقل .

ولقبائل مسلمي الفلبين درجات طبقية تبدأ بقبيلة (المرناو) على أنها أرقى القبائل ثم (المقتدناو) ثم (التاوسوق) ثم تأتي بعدها القبائل الصغرى الأخرى والفارق بين هذه القبائل هو فقط الكم العددي للقبيلة الذي يكسبها قوة ومنعة وعليه جاء هذا التدرج ، وقبيلة التاوسوق هي القبيلة المقاتلة حقاً وقد كلفت ببناء المساجد في جميع أنحاء الفلبين وذلك لغيرتهم الإسلامية أكثر من غيرهم .

ومن المؤسف حقاً أنهم لا يعرفون العقيدة الصحيحة ولا يميزون بين الحلال والحرام ومعظمهم صوفي ، وبدأت تدخل عليهم ضلالات الرافضة مؤخراً ، كما سيتبين فيما بعد .

ثالثاً : الصوفية :

- تنتشر البدع الصوفية بين أئمة المساجد في المدن الكبرى ، كما تنتشر الصوفية في جزر هولوسولو وتاوتاوي وباسيلان ، حيث يكثر بينهم التعامل بالسحر والشعوذة وخاصة الطريقة الرفاعية ، وهناك فرق أخرى من الصوفية قد لا يوجد لها مثيل ، منها :

* القرديون : وهم يعتقدون بأن القرود لها قدرة على شفاء الأسقام المستعصية.
* المنبريون : وهم يعتقدون بقدسية المنبر العتيق في بعض المساجد .
* الجنيون : وهؤلاء يتعاملون مع الجن بالسحر والشعوذة .

* القبوريون : وهؤلاء هم المستغيثون بقبور من يسمونهم أولياء ويتوسلون بهم ويقدمون لهم القرابين وما إليها من شركيات .

- لقد نشر الصوفيون كثيراً من البدع والخرافات مثل إقامة المآتم ومراسم الدفن - تقليداً للنصارى - وقراءة القرآن على الأموات ، وإقامة الولائم بعد عشرين يوماً من الوفاة وبعد أربعين أو خمسين يوماً من الوفاة أيضاً ، وغير ذلك من البدع مثل إحياء ليلة النصف من شعبان والاحتفال بالمولد النبوي ، كما ظهرت بينهم عقيدة تناسخ الأرواح .

رابعاً : الرافضة :

للرافضة نشاط ملموس بين المسلمين بعامة وطلاب الجامعات والمعاهد بخاصة ، فقد أخذوا يشككون المسلمين في دينهم من عدة نواح ، وهم يقسمون نشاطهم إلى قسمين نشاط للمسلمين وآخر لغير المسلمين - حيث إن عدداً دخل الإسلام عن طريقهم -مع أنهم لا يركزون كثيراً على هذا الجانب .

فهم يقدمون للمسلمين ما يشككهم في معتقد أهل السنة والجماعة ، وبهذا التشكيك ظهرت مشكلة صارت تواجه المسلمين والرافضة - على السواء - من قبل النصارى ؛ حيث ظن النصارى أن الإسلام إسلامان والقرآن قرآنان ، إسلام شيعي وآخر سني وقرآن فاطمة وقرآن السنة ، وبهذا فقد قالوا : إن القرآن محرف كما نقول نحن حيال الإنجيل ، والإسلام متعدد مثل النصرانية -كاثوليك وبروتستانت- وأصبح هذا من مفتريات المنصرين على الإسلام التي استلهموها من مفتريات الرافضة .

والآن بدأ الرافضة يركزون نشاطهم في الجنوب - حيث الثقل الإسلامي - وذلك لأن الشمال أصبح مكتظاً بالشباب من العرب الذين ذهبوا إلى الفلبين طلباً للدراسة ، حيث يوجد الآن في مانيلا وحدها قرابة السبعة آلاف طالب ، منهم عدد لا بأس به يقوم بمحاولة الرد على الرافضة ، وهذه المحاولات -مع ضعفها- أعاقت سير دعوة الرافضة هناك ، فضلاً عن أن سكان الجنوب مسلمون بالوراثة ولا علم لهم بأباطيل الرافضة -إلا ما رحم ربي- مما جعلهم أكثر تقبلاً لضلالاتهم ، بجانب ما يوجد فيهم من صوفية متفشية تحرم صاحبها من التدقيق والتحقيق ، علاوة على الدعم المادي الذي يقدمه الرافضة ، فضلاً عن إثارتهم للنعرة العرقية وذلك باستعداء الفلبينيين على العرب من جانب أنهم أعاجم والروافض أعاجم فلذلك هم أحق بالتعاون معاً ، ويعتمدون على تفسير آية : ﴿ الأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْراً وِنِفَاقاً ﴾ [التوبة : 97] ، تفسيراً محرفاً مؤداه أن كل العرب كفرة ومنافقون .

والدعم الذي يقدمه الرافضة يعتبر قليلاً مقارنة بالدعم القادم من بلاد المسلمين إلا أنه على قلته يُعْتَمَدُ في توزيعه على الإيرانيين أنفسهم عن طريق وسطاء من أبناء الفلبين ، ويقومون هم بالمتابعة الدقيقة ، ويأمرون بتوزيع الدعم في الوقت المناسب وللعمل المناسب -أي بتركيز محسوب- مما جعل لدعمهم أثراً فاق أثر الدعم القادم من بلاد المسلمين ، رغم كثرته وتعدد مصادره .

ونظراً لوجود المتخصصين والمتفرغين لدعوة الرافضة فضلاً عن الدعم المادي والدبلوماسي المقدم من سفارة إيران وعدم وجود نظير مقابل له لدى المسلمين أصبح نشاط الرافضة أكثر تأثيراً حتى بلغ الأمر درجة اتهام أهل السنة والجماعة بكثرة الكلام وقلة العمل ، والحق يقال : لا يعرف للمسلمين نشاط إلا جهود دعوية وإغاثية في حدود ضيقة [*] بينما الرافضة ينشرون المعاني المحرفة للقرآن وكثيراً من كتب مذهبهم الباطل بكل اللغات المحلية والإنجليزية ، وكفى شاهداً على نشاطهم بناء مسجد كبير بمدينة (دوماجتي) باسم مسجد الخميني ، بينما لا يوجد مسجد واحد باسم أهل السنة والجماعة في المدن الكبرى نهائياً ! ! ، وهم

دائماً يلمزون مسلمي السنة بأنهم وهابيون مبتدعون ! !
ولا يمكن للمرء أن يتصور إلى أي مدى أثرت أباطيلهم ، والأدهى من ذلك والأسوأ : أنه لم يقم أحد بالرد على هذه الأكاذيب ولو بطريق غير مباشر حتى الآن، مما جعلهم يقولون : إن هذا هو الحق وإلا لماذا لم يرد عليهم أحد من أهل السنة والجماعة ؟ ! وفعلاً لقد صدَّق العوام هذه الأراجيف كل التصديق ، ونحن جميعاً مسؤولون عن الرد على هذه الأباطيل ما لم يقم من يفندها .

ولقد قام الشيخ سلامات هاشم - مؤخراً - بنشر مجلة في حدود ضيقة على نفقته لدحض أراجيف الرافضة ، إلا أنها لم تنهض بالمهمة الكاملة .

ومع العلم أن زعماء الرافضة الأساسيون هم إيرانيون لا يتعدون العشرة في كل الفلبين ، لكنهم لا يلتقون بالجمهور مباشرة بل عن طريق وسطاء من أبناء الفلبين كما أنهم يعملون بأعمال توهم الناس بأنهم فقراء ولا دخل لهم بشيء سوى كسب القوت مثل الجزارة أو المطاعم الصغيرة وصناعة الخبز .

وعندما يرغبون في اجتذاب القادة الكبار من المسلمين لاعتناق مذهبهم الهدام ، يعطونهم تذاكر طيران مفتوحة لعدة بلدان إسلامية ، وعند ذهابهم لتلك البلدان يعرضون عليهم أسوأ ما في تلك البلدان ، ثم يدعونهم بعد ذلك لزيارة إيران حيث يعرضون عليهم أفضل المناطق ، ثم يهيئون لهم مقابلات مع كبار قادة إيران إمعاناً في الإغراء ، ثم يطرح عليهم السؤال : أي البلدان أكثر إسلاماً ؟ إيران البلاد الأخرى ؟

والروافض لا يميلون إلى أسلوب الحوار المفتوح إلا إذا علموا أن المحاور يجهل شبهاتهم وغير ملم بدقائق التاريخ الإسلامي ، فهم ميالون للأسلوب الخفي بعمل المنشورات خاصة وسط الجهلة الذين لا علم لهم وفي المناطق التي لا تتوافر بها المراجع لدحض مفترياتهم .

والرافضة والنصارى يتشابهون في طقوسهم الدينية ، وذلك في عبادة تكفير الذنوب ، حيث إن للنصارى أسبوعاً مقدساً من كل عام فيه الجمعة المقدسة يصلب فيها أحد النصارى وهو حي دون أن يقتل ، ويخرج فيها الشباب عاريي الظهور ويضربون أجسادهم بالسياط المليئة بالشوك والحديد حتى تسيل الدماء وهم يدورون بالشوارع كما يفعل الروافض تماماً في طقوسهم المبتدعة في أيام عاشوراء .

وهنالك أشخاص عادوا إلى الحق بعد أن أضلتهم الرافضة ، ومن جملة هؤلاء الشيخ مهدي باقندا من مدينة زامبوانقا ، وهو الوحيد الذي كون صحيفة من ماله الخاص للرد على ترهات الرافضة .

أما وسائل تشكيكهم الأخرى [**] فتتمثل في الآتي :

(1) يزعمون أن القرآن الذي بين أيدينا - نحن أهل السنة والجماعة - محرف ، وقد زيد فيه ونقص ، وأن هناك مصحف فاطمة فيه مثل القرآن الذي معنا ثلاث مرات (ومن هنا جاء زعم النصارى بأن القرآن محرف وليس كتاب واحد ، مثله مثل الإنجيل) .

(2) طعنوا في صحة كتب الحديث التي بين أيدينا وبخاصة صحيحي البخاري ومسلم ، وذلك للتشكيك في صحة السنة النبوية الشريفة .

(3) يكفرون الصحابة ويشككون في نزاهتهم وبخاصة الصحابة الكبار منهم ، وهذه ظاهرة منتشرة جداً حتى بين من يدعي الولاء لأهل السنة من المسلمين في الفلبين وذلك عن جهل .

(4) ينشرون الرذيلة بين أبناء وبنات المسلمين عن طريق (نشر المتعة) أو ما يسمونه (نكاح المتعة) ، ففي بادئ الأمر كانوا يشيعون هذا السفاح بين المسلمين، فضلاً عن أن عدد المعتنقات للإسلام كبير وما يزال في ازدياد ملحوظ ، ولكن

سرعان ما نفر النساء من هذا الرأي وكرهن الرافضة ، فغير الرافضة من خطتهم ، وقالوا : إن زواج المتعة لا يجوز إلا مع المرأة النصرانية ، ولقد وقعت كثيرات من بنات المسلمين وغيرهن من المعتنقات للإسلام ضحايا لهذا الانحراف .

(5) يزعمون بأن الأئمة الاثني عشر معصومون ، وأنهم أفضل من الأنبياء والرسل .

(6) يوزعون الكتب والمجلات التي تحمل هذه السموم دائماً في شتى جزر الفلبين المسلمة فلا يكاد يخلو منها مسجد ولا مدرسة .

(7) يقدمون الندوات والمحاضرات بكل الوسائل المتاحة لنشر عقائدهم إن لم يجدوا من يقف ويفند مزاعمهم .

(8) لقد أثر الروافض على بعض خريجي الجامعات الإسلامية المتخرجين في الدول العربية واستمالوهم بالإغراءات عن طريق السفارة الإيرانية .

(9) لقد تغلغل الروافض في صفوف (جبهة تحرير مورو الوطنية بقيادة نور مسواري) تحت شعارات زائفة مثل محاربة الإمبريالية والصهيونية وغيرها من الشعارات ، لذلك فهناك كثير من القادة يتعاطفون مع الرافضة .

(10) تأثر بعض الطلبة العرب بدعاوى الرافضة فتبنوا عقائدهم الباطلة .

(*) هناك جهود خيرية كثيرة تقوم بها جماعات إسلامية تعمل لنصرة الإسلام والدعوة إليه إلى وإغاثة المسلمين هناك ، انظر كتيب (الأعمال الخيرية في الفلبين ، الأهداف - الأعمال - الآثار - النتائج - الحاجات) للشيخ سعود بن محمد العوشن
- البيان - .

(**) لبيان باطلهم في هذه المزاعم ، انظر : الشيعة والسنة ، والشيعة والتشيع ، لإحسان إلهي ظهير ، وانظر أيضاً : مختصر التحفة الاثني عشرية بتحقيق محب الدين الخطيب ، وأصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية - عرض ونقد - للدكتور ناصر القفاري
- البيان - .

متابعات

أسئلة الأهلة في ساحة الحوار ..

كنا ومازلنا ندعو أصحاب الفضيلة العلماء والمفكرين والقراء المتابعين إلى التواصل مع المجلة تعليقاً ونقداً وتصحيحاً لأي أخطاء ، والتعقيب على أي ملاحظة تستحق التصويب . وقد سبق أن نشرت المجلة في العدد (79) مقالة (أسئلة الأهلة في قالبها العبثي) للكاتب سليمان الربعي ، وقد وصل إلينا هذان الردان على المقال المذكور :

- البيان -

الرسالة الأولى من الأخ / عبد الله بن عبد الرحمن :

اطلعت على ما كتبه الأستاذ سليمان الربعي بعنوان (أسئلة الأهلة في قالبها العبثي) المنشور في العدد (79) . - وأعجبني حسن أسلوبه وقوة عرضه ، وأهمية القضية التي عالجها الكاتب ، واللهَ أسال أن يبارك فيه ويوفقه لكل خير .

ولكن استوقفني وصفه لسؤال عرضه بعض الصحابة في شأن الأهلة .. بأنَّه : (ساذج يدل على سطحية في التفكير وبدائية في النظر ومحدودية في التناول التأملي، وبساطة البحث عن المعرفة الفكرية المهمة المناسبة للمكان والزمان ...) .

ومن المعلوم المتفق عليه أنَّ للصحابة (رضي الله عنهم) منزلة جليلة ، ومكانة كبيرة ، فلا يحبهم إلا مؤمن ولا يبغضهم إلا منافق ، وأنهم أبرّ هذه الأمة قلوباً وأعمقها علماً وأقلها تكلفاً ، وأن من أصول أهـل السنة والجماعة موالاتهم لأصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم- ومحبتهم ، والكف عمَّا شجر بينهم .

وفي الآية الكريمة المشار إليها في المقال تأديب للصحابة (رضي الله عنهم) بأن يسأل المرء عمَّا ينفعه ، ويترك ما دون ذلك من الأسئلة التي لا تنفع في الدين .

ولا شك بأن الكاتب لم يُرد على الإطلاق تنقص أحد من الصحابة ، ولعل مراده أن يُشتغل بالأمور العملية النافعة ، فالسلف الصالح كانوا يكرهون الحديث فيما لا تحته عمل . وهي -فيما نحسب- زلة قلم غير مقصودة ، وإنا على ثقة -إن شاء الله- بأن الكاتب لو أعاد قراءة المقالة مرة ثانية لتنبه لذلك وصحح عباراته .. وكل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون .

الرسالة الثانية من الأخ / محمد آل عبد العزيز : ومما جاء فيها :

قرأت مقالة الأخ سليمان الربعي (أسئلة الأهلة في قالبها العبثي) ، وأشكره على حرصه وغيرته وجمال أسلوبه ، وأرجو أن يتسع صدره للملحوظة التالية :

عتب الكاتب على بعض الناس الذين يسألون عن عقيدة ذلك الأستاذ وعلى أي شيء توفاه الله ؟ وماذا كان منهجه في الممارسة ؟ وفي عام كذا وكذا ماذا عمل ؟ وفي مكان كيت كيف شوهد ؟ نقبوا في تراثه ؟ وماذا ترى يا شيخ في القوم المحبين له ؟ وفي الفتية المثنيين عليه ؟ وهلم جرا من هذه الألوان القاتمة في أفق الساحة من بعض الناس المحسوبين على الدعوة .

ولا أجد أي حرج في السؤال عن عقيدة أحد الكتاب أو الدعاة ، أو عن تاريخه ومنهجه وتراثه ، فالتقويم والتصويب أمر لازم إذا التزم بالمنهج العلمي والأدب الإسلامي ، وبخاصة في مثل هذا العصر الذي اختلطت فيه السبل وكثر فيه الدخيل، وهو منهج شرعي سبقنا إليه أئمة هداة من سلف هذه الأمة الأبرار الذين بنوا علم الجرح والتعديل ، فتكلموا عن الرواة قوة وضعفاً ، وعن المرويات صحة وسقماً .

وبهذا حفظ الله الدين ؛ قال محمد بن سيرين : (ما كانوا يسألون عن الإسناد فلما ظهرت الفتن ؛ قالوا : سموا لنا رجالكم ، فينظرون إلى أهل السنة فيأخذون حديثهم وينظرون إلى المبتدعة فيتركون حديثهم) .

وأحسب أن الكاتب يتفق معي في هذا الرأي ، ولكنه أراد أن يستنكر على بعض الناس الذين يأخذون بالظنة ويتهمون بغير بينة ، بل يتحدثون بجرأة عن سرائر القلوب ، ويرتبون على دقائق المسائل أموراً عظاماً لا تقتضيها . ونتيجة ذلك أن أقرب شيء إلى ألسنتهم التبديع والتضليل بل التكفير بدون دراسة شروط ذلك ومعرفة موانعه .. وهذا أمر غير محمود نهى عنه السلف والأئمة قديماً وحديثاً، والعدل لازم مع كل أحد ، والله (تعالى) أعلم .

تعليق المجلة :

نشكر الأخوين الكريمين على هذين التعليقين اللطيفين ، فنحن نرحب بكل نقد هادئ هادف يلتزم الدليل الشرعي ، ويتحلى بالأدب وحسن الظن ، والمسلم مرآة أخيه المسلم ، وهذا من التواصي بالحق والتعاون على البر والتقوى ، ويسعدنا جداً ذلك النقد البناء لأننا نرى أنه ليس موجهاً للكاتب فحسب بل موجه لإدارة المجلة وهيئة تحريرها .. ورحم الله امرءاً أهدى إلينا عيوبنا .

والتواصل مع المجلة كتابة وتعليقا وتصحيحاً مطلب نلح عليه ونحث معشر القراء على القيام به ، ولا شك أن القارئ الناضج مكسب نسعد به ونفرح ، ونجاح المجلة وسلامة منهجها وصفاء طريقتها يحتاج إلى التعاون والتكاتف .

وهيئة تحرير المجلة توافق الأخوين على ما ذكراه ، وتؤكد أن الكاتب لم يقصد ما حذر منه القارئان الكريمان ، وهو -كما ذكر لنا- لم يقصد أي شيء مما أخذ عليه ويبرأ إلى الله أن يكون ذلك مقصده .

لكنه كان يتحدث عن ظاهرة ملموسة كانت محور حديثه وأراد التنبيه لسلبياتها. فجزاه الله خيراً ، فمن ذا الذي لا يسيء قط ، ومن له الحسنى فقط ، ولكنها زلة

قلم ، نسأل الله للجميع العفو والتوفيق والسداد ..

في دائرة الضوء

مراجعة لا رجوع

دعوة إلى النقد والتقويم لمسارنا الدعوي

محمد محمد بدري

في الملاحة يعرف قائد السفينة أنه لا يكفيه أن يقلع في اتجاه هدفه ، بل يجب عليه (مراجعة) مساره على طول الطريق ، فإذا عدّل مساره لتفادي الهلكة لم يشعر أبداً أنه (رجع) عن الهدف ، وإنما هو يؤَمِّن وصوله إليه .

وهذه المقالة هي دعوة هادئة لا تزعج المستيقظ ولكن توقظ النائمين لإقرار مبدأ (المراجعة) لمسار العمل الإسلامي لتعديل وسائله وفق الواقع والإمكانات حتى لا تبقى سفينة حركتنا الإسلامية حائرة في خضم أمواج الكوارث والمشكلات دون أن تعرف طريقها إلى شاطئ التمكين ! !

المراجعة والفهم الخاطئ :

إذا ذكرت كلمة (مراجعة) أو (نقد) ، في بعض الأوساط الإسلامية غلب على أفهام السامعين أنها ترادف كلمة (تشهير) .. (تجريح) .. (غيبة) إلى غير ذلك من الكلمات التي تنافي الأخوة الإيمانية ، وتخلخل الصفوف ، بل وتفضح العورات ، وتكشف ثغرات صفهم أمام الأعداء ! !

ومن هنا نجد أن عملية (المراجعة) و (النقد الذاتي) لمسار العمل الإسلامي عملية غير رائجة في أوساطنا الإسلامية ، بل تُوَاجَه في كثير من الأحيان بلون من (التشنج) الفكري الذي يخلط بين المحن بسبب أخطاء يجب مراجعتها ، وبين الابتلاء الذي هو سنة الدعوات ، ومن ثم يتهم من يقوم بالمراجعة والنقد الذاتي بأنه رجع عن الطريق ، ولم يثبت للمحن ! ! وهذا في حقيقته كارثة كبرى !

المراجعة مطلوبة . وهذا هو الدليل :

إن المراجعة والنقد الذاتي هما طريقا القرآن والسنة ، ومنهج الأئمة من سلف هذه الأمة :

* فأما القرآن والسنة :

فقد عرض القرآن كثيراً من غزوات النبي -صلى الله عليه وسلم- وصحابته من الجيل القرآني الفريد ، وأوضح فيها الأخطاء والتقصير على المستوى الفردي والجماعي .

- ففي أحد : كانت الجماعة المسلمة تعاني آلام الهزيمة ، وبينما هي في المحنة نزلت آيات القرآن ، لا لتبارك جهود المسلمين وبطولاتهم في هذه الغزوة ، ولا لتوصيهم بالصبر بعد أن قاموا بما عليهم وبذلوا غاية جهدهم ، بل ل (تراجع) المعركة وتشير إلى نقطة الخطأ بكل وضوح مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا ، فالقرآن يشير إلى أنه كان بين المؤمنين - الذين بقوا مؤمنين وعفا الله عنهم مع تقصيرهم - كان بينهم من يريد الدنيا ! ! ومع أن ما حدث كان بإذن الله ومَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ التَقَى الجَمْعَانِ فَبِإذْنِ اللَّهِ ولِيَعْلَمَ المُؤْمِنِينَ مع هذا : أخبرت الآيات أن المصيبة كانت من عند أنفسهم أَوَ لَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ إنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ [آل عمران : 165] .

- في غزوة تبوك : جاء قوله (تعالى) : يَا أَيُّهَا الَذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا

مَتَاعُ الحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إلاَّ قَلِيلٌ [التوبة : 38] .
- في حنين : نزل قوله (تعالى) : ويَوْمَ حُنَيْنٍ إذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئاً وضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ [التوبة : 25] .
- وفي غزوة بدر الكبرى : نزل قول الله (عز وجل) : كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وإنَّ فَرِيقاً مِّنَ المُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ * يُجَادِلُونَكَ فِي الحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إلَى المَوْتِ وهُمْ يَنظُرُونَ [الأنفال : 5-6] .
* وفي سرية عبد الله بن جحش (رضي الله عنه) بصائر للذين يرفضون المراجعة في أوساطنا الإسلامية : لقد خرجت هذه السرية بأمر من رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بهدف استطلاع أخبار قريش ، فمرت بها عير لقريش وحدث اجتهاد خاطئ أخرج السرية عن مهمتها الأساسية إلى قتال مع هذه العير في آخر يوم من رجب ، ورجع عبد الله بن جحش بالعير وأسيرين إلى رسول الله ، فماذا قال الرسول -صلى الله عليه وسلم- ؟
لقد قال : ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام .
وحين نزلت آيات الوحي ، كيف عالجت هذه القضية ؟
لقد كانت آيات الله حاسمة : يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وكُفْرٌ بِهِ والْمَسْجِدِ الحَرَامِ وإخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ والْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ القَتْلِ [البقرة : من الآية 217] .
إن أول ما يتبين لقارئ هذه الآيات أن القرآن قد أتى بتقرير واضح بَيَّن أن ما حدث كان خطأً بل وخطأً كبيراً قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ تقرير للخطأ ومطاردة له بين صفوف المسلمين ، ثم جعل القرآن هذا التقرير للخطأ دماً جديداً في جسم المجتمع الإسلامي ، وكشفاً وفضحاً لأعداء الله من المشركين ، وبياناً لجريمتهم الأكبر والْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ القَتْلِ .
وفي غير سرية عبد الله بن جحش كانت المراجعة للخطأ -إذا وقع - هي طريقة القرآن ، وكان الاستدراك له هو طريقة السنة :
وتكفي نظرة في القرآن ، وقراءة لأخبار السير والمغازي لتأكيد ذلك وبيان أن المراجعة الدائمة والتبصير بالأخطاء هي طريقة القرآن والسنة .

المراجعة لدى الرعيل الأول :

وعلى طريق القرآن والسنة سار الأئمة من سلف هذه الأمة : فكان منهجهم الفكري وواقعهم العملي هو الحض على المراجعة والنقد الذاتي والدعوة إليهما ، بل كانت هذه المراجعة هي صفتهم التي تميزهم عن أهل الأهواء كما أخبر عبد الرحمن بن مهدي أحد شيوخ الشافعية وغيره : (أهل العلم يكتبون ما لهم وما عليهم، وأهل الأهواء لا يكتبون إلا ما لهم) [*] .
ولذلك وجدنا أهل الحديث الذين أخذوا على عاتقهم المحافظة على سنة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يضعون أصول الجرح والتعديل ، ذلك العلم الذي لا يخرج عن أن يكون لوناً من ألوان النقد الذاتي والمراجعة للرواة .
ويماثل الجرح والتعديل في الحديث ، واجب (الحسبة) الذي يهدف إلى حفظ الشريعة والأخلاق في المجتمع الإسلامي ، ويراقب فاعليتها في حياة المسلمين .
وهكذا وجدنا العلماء في كل عصر ينبهون على المغالطات التي تحدث في الأمة سواء أكانت من المبتدعة أو غيرهم .
وإذاً فالمراجعة والنقد الذاتي واجب شرعي لا يملك المسلم إزاءه اختياراً ، وضرورة دعوية وحركية لمتانة الصف الإسلامي وصلابة الأرض التي يقف عليها.
ومن هنا وجب علينا أن يكون عندنا من رحابة الصدر وسعة الأفق ما يجعلنا قادرين على هضم الانتقادات والمراجعات ووضعها في مكانها السليم اقتداء بأئمتنا

من سلف هذه الأمة .

حتى تنجح المراجعة ماذا يلزمها ؟

ولكي تكون المراجعة والنقد الذاتي جزءاً من أعمالنا ، وطريقاً إلى مواجهة ذواتنا بعيداً عن الاندفاعات والظنون ، وسبيلاً إلى النمو السليم لأعمالنا لا بد أن يتوفر فيهما عدة أمور ، منها :

1- الإخلاص والكفاءة : حتى لا تكون المراجعة والنقد جهوداً عرجاء لا تمشي على رجلين لابد من شرطين أساسيين ، هما : (الإخلاص) و (الكفاءة) ؟ !

* فأما الإخلاص : فهو إيثار الحق على كل الخلق في نقد الأعمال وتقويم المواقف ، بحيث يكون شعار النقد ﴿ وإذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا ﴾ .

* وأما الكفاءة : فهي امتلاك المعايير الدقيقة للنقد والمراجعة من الكتاب والسنة ، والإحاطة بالواقع مع استحضار تجارب الماضي وخبرات السابقين . ولا يغني شرط من الشرطين عن الآخر ؛ إذ لو توفرت (الكفاءة) وافتقد (الإخلاص) تحول النقد إلى لون من ألوان الدجل الفكري الذي يضر أكثر مما يفيد ! ! وأمّا إذا توفر شرط (الإخلاص) دون توفر شرط (الكفاءة) والقدرة على المراجعة والنقد : تحول النقد إلى لون من ألوان الألعاب الصبيانية التي لا تقوِّم اعوجاجاً ولا تُصلح فساداً ، وإذن : فلا بد من توفر شرطي الإخلاص والكفاءة ليؤدي النقد دوره في ترشيد العمل ودفعه إلى النمو السليم .

2- نقد الذات لا نقد الآخر : الناقد الحق ليس من يرى القشة في عيون الآخرين ، ويغفل عن العود في عينيه ، وليس من يسكت عن الجرائم الكبيرة في فصيله الإسلامي ، ويطارد الهفوات في الفصائل الأخرى ، وإنما الناقد الحق هو من يعكف على الذات فيربيها على أمر الله ويأخذها بشرعته (سبحانه) ، تربية ميدانية من خلال (ممارسة) العمل الإسلامي (ومعايشة) معاناته اليومية ، (واستشعار) التحديات المحيطة به ، فإذا فعل ذلك ، كان نقده أداة تنظيف للوعي والخلق في فصيله الإسلامي -قبل الفصائل الإسلامية الأخرى- ووسيلة من وسائل وقاية الدعوة والحركة الإسلامية من تراكم الأخطاء التي تنفجر في فتن مدمرة تأتي على كيان العمل الإسلامي ! .

3- تحقيق الإصلاح لا ترسيخ الفوضى : من السهل أن ينقد إنسان عملاً ما أو يعدد المآخذ الكثيرة على موقف من المواقف ، ولكن الاختبار الحقيقي هو : هل يملك هذا الإنسان القدرة على تطوير العمل الذي ينقده بحيث يرتقي به إلى الأفضل، ويفتح أمامه المجالات الأرحب والآفاق الأوسع ؟ وهل يقدر هذا الذي ينقد موقفاً ما أن يوجهه إلى كيفية القيام بدور أكبر ووظيفة أشمل ؟ هذا هو الاختبار الحقيقي ! !

إن النقد الصحيح (بِنَاء) و (مشاركة) تحيط بالعمل وتوجهه إلى الأفضل ، وليس مجرد المعارضة التي لا تبتغي إصلاحاً ، وإنما فقط تُرسخ الفوضى .

4- تبادل النصائح لا تبادل التهم : النقد والمراجعة لابد أن يكونا في إطار من الحكمة والصبر ، وفي أسلوب يضبطه قول الله (عز وجل) :

﴿ وقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً .. ﴾ وقوله سبحانه : ﴿ وجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ ذلك أن النقد موقف (نصح) لتبادل الآراء والأفكار ، وليس موقف (عداء) لتبادل الشتم والضرب !

كما أن النقد والمراجعة ليسا وصاية على الآخرين ولا إرهاباً لعقولهم ، وإنما هما محاولة للتعرف على ما في ممارساتنا من خلل وخطأ للرجوع عنه ، واكتشاف ما فيها من صواب للاحتفاظ به وتنميته .

5- علانية النقد لا إسرار النصيحة : تختلف طريقة مناصحة الفرد عن طريقة نقد ومراجعة أعمال الجماعة ، فالأولى : يجب أن تتم في السر وإلا تحولت

إلى لون من ألوان التشهير ، وأما الثانية : فلابد أن تتم بشكل علني ليراها الجميع ، ويقوم الجميع بتصويبها ، إن النقد الذاتي والمراجعة ليسا مجرد النجوى المحدودة التي يقوم فيها الناقد بالإسرار بالأخطاء إلى أخيه المجتبى في خلوة حميمة ، وإنما النقد إعلان مشهود عن الخطأ على رؤوس الملأ ، إعلان يتمتع بصراحة الأسلوب ، ووضوح الأفكار مع الاحتفاظ في ذات الوقت بالهدوء الضروري في محاصرة الظواهر السلبية حتى لا يضيف إليها النقد ظواهر سلبية أكبر وأخطر . **هنا قد نسمع مقولة يرددها بعضهم مفادها أن النقد بهذه الصورة يقود إلى الفرقة وخلخلة الصفوف الإسلامية ؟ ! .**

وبادئ ذي بدء ، نحن لا نشك في (إخلاص) من يرددون هذه المقولة ، ولكنا نعتقد أنهم كالأم التي تصل محبتها لوليدها إلى عدم تقويم سلوكه وتربيته على تحمل المسؤولية ، فتصنع منه إنساناً عاجزاً هشاً ، بل قد تؤدي محبتها له إلى موته لأنها تخشى أن تذهب به إلى الطبيب فيصف له دواء مراً وحقناً مؤلمة .

نعم ، إن النقد الذاتي والمراجعة هما الدواء لعملنا الإسلامي من أمراضه ، وهما التطعيم الذي يقيه - بإذن الله - من الإصابة بتلك الأمراض في المستقبل ، وإذا كان لهذا الدواء بعض الآثار السلبية فإن هذا لا يعني أن نترك مرضانا بغير علاج حتى يفترسنا المرض ويقضي علينا .

فإن قال قائل : إن الفرقة ليست الأثر السلبي الوحيد ، بل هناك ما هو أخطر، إن النقد الذاتي والمراجعة يكشفان عوراتنا أمام أعدائنا المتربصين !

قلنا : إن هذه المقولة تفترض في أعدائنا الغباء المحكم والجهل التام ، بينما الحقيقة أن خصومنا يعرفون عنا ما قد يفوق -أحياناً - ما نعرفه نحن عن ذواتنا ، لسبب بسيط وهو أنهم يعلمون أن في غفلتهم عنا سقوطهم ، وهم حريصون على عدم السقوط .

إن التستر على الأخطاء بدعوى عدم خلخلة الصفوف أو تبصير الأعداء بمواطن الضعف هو في حقيقته الأمر الخطير والمفسدة العظيمة ، ذلك أن دراسة الفشل تفيدنا أكثر مما يفيدنا نصف نجاح خداع يُبْقي على عوامل الفشل التي لا تُنْتِج في النهاية إلا السقوط والتوجه نحو السراب .

إن غياب المراجعة والنقد الذاتي تَسبب في كثير من المرات في خروج قطار الحركة الإسلامية والدعوة الإسلامية على وجه العموم عن طريقه ليسير بطريقة عشوائية أو بغير سبيل وطريق دون أن يجد من يعدل انحرافه ويصوب أخطاءه حتى لا تتكرر الكوارث ، ونكتفي جميعاً بالشكوى من تكرار الكوارث وتجارب الفشل ، وكأن الشكوى هي العلاج ! !

إن أي طريقة في العمل الإسلامي لا يجب أن تكون منديلاً على أعيننا يمنعنا من إعادة النظر فيها ومراجعتها في أي لحظة نريد ، فإذا كشفت لنا مراجعتنا عن أخطاء ارتكبناها ، فلنعلم أن الاعتراف بالأخطاء لا ينتقص من الذات وإنما يؤدي إلى تزكيتها ، ويحول دون تدسيتها ، وأن الندم على الأخطاء يكون دائماً هو الحافز على مواصلة السير بتصور كثر وضوحاً وأقل أخطاءً .

إنه ليس من الصواب - ولا من الممكن - أن نعبر آفاق المستقبل ونخوض غماره دون أن نعي جيداً أحداث ماضينا ودروس حاضرنا ، ولن نقدر على ذلك إلا عبر (المراجعة) للماضي (والنقد) للحاضر ، فمتى ندرك أن وعينا بدروس الماضي ونقدنا لصفحة الحاضر لا تعني بأي حال الرجوع عن أهدافنا الصحيحة ، وإنما هي (مراجعة) لا (رجوع) ؟ !

هدية -صلى الله عليه وسلم- في زكاة الفطر

فرضها رسول الله -صلى الله عليه وسلم- على المسلم ، وعلى من يُمُونه من صغير وكبير ، ذكر وأنثى ، حر وعبد ، صاعاً من تمر ، أو صاعاً من شعير ، أو صاعاً من اقط ، أو صاعاً من زبيب ، عن أبي سعيد الخدري قال : (كنا نخرج زكاة الفطر صاعاً من طعام أو صاعاً من شعير أو صاعاً من تمر ، أو صاعاً من أقط ، أو صاعاً من زبيب) ، أخرجه البخاري 3/294 ، ومسلم 985 .
(زاد المعاد ج2 ص 19)

(*) اقتضاء الصراط المستقيم ، ص 7 .

في دائرة الضوء

مراجعة لا رجوع

دعوة إلى النقد والتقويم لمسارنا الدعوي

محمد محمد بدري

في الملاحة يعرف قائد السفينة أنه لا يكفيه أن يقلع في اتجاه هدفه ، بل يجب عليه (مراجعة) مساره على طول الطريق ، فإذا عدّل مساره لتفادي الهلكة لم يشعر أبداً أنه (رجع) عن الهدف ، وإنما هو يؤَمِّن وصوله إليه .

وهذه المقالة هي دعوة هادئة لا تزعج المستيقظ ولكن توقظ النائمين لإقرار مبدأ (المراجعة) لمسار العمل الإسلامي لتعديل وسائله وفق الواقع والإمكانات حتى لا تبقى سفينة حركتنا الإسلامية حائرة في خضم أمواج الكوارث والمشكلات دون أن تعرف طريقها إلى شاطئ التمكين ! !

المراجعة والفهم الخاطئ :

إذا ذكرت كلمة (مراجعة) أو (نقد) ، في بعض الأوساط الإسلامية غلب على أفهام السامعين أنها ترادف كلمة (تشهير) .. (تجريح) .. (غيبة) إلى غير ذلك من الكلمات التي تنافي الأخوة الإيمانية ، وتخلخل الصفوف ، بل وتفضح العورات ، وتكشف ثغرات صفهم أمام الأعداء ! !

ومن هنا نجد أن عملية (المراجعة) و (النقد الذاتي) لمسار العمل الإسلامي عملية غير رائجة في أوساطنا الإسلامية ، بل تُوَاجَه في كثير من الأحيان بلون من (التشنج) الفكري الذي يخلط بين المحن بسبب أخطاء يجب مراجعتها ، وبين الابتلاء الذي هو سنة الدعوات ، ومن ثم يتهم من يقوم بالمراجعة والنقد الذاتي بأنه رجع عن الطريق ، ولم يثبت للمحن ! ! وهذا في حقيقته كارثة كبرى !

المراجعة مطلوبة . وهذا هو الدليل :

إن المراجعة والنقد الذاتي هما طريقا القرآن والسنة ، ومنهج الأئمة من سلف هذه الأمة :

* فأما القرآن والسنة :

فقد عرض القرآن كثيراً من غزوات النبي -صلى الله عليه وسلم- وصحابته من الجيل القرآني الفريد ، وأوضح فيها الأخطاء والتقصير على المستوى الفردي والجماعي .

- ففي أحد : كانت الجماعة المسلمة تعاني آلام الهزيمة ، وبينما هي في المحنة نزلت آيات القرآن ، لا لتبارك جهود المسلمين وبطولاتهم في هذه الغزوة ، ولا لتوصيهم بالصبر بعد أن قاموا بما عليهم وبذلوا غاية جهدهم ، بل ل (تراجع) المعركة وتشير إلى نقطة الخطأ بكل وضوح ﴿ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا ﴾ ، فالقرآن يشير إلى أنه كان بين المؤمنين - الذين بقوا مؤمنين وعفا الله عنهم مع تقصيرهم -

كان بينهم من يريد الدنيا ! ! ومع أن ما حدث كان بإذن الله وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ التَقَى الجَمْعَانِ فَبِإذْنِ اللَّهِ ولِيَعْلَمَ المُؤْمِنِينَ مع هذا : أخبرت الآيات أن المصيبة كانت من عند أنفسهم أَوَ لَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ إنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ [آل عمران : 165] .

- في غزوة تبوك : جاء قوله (تعالى) : يَا أَيُّهَا الَذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إلاَّ قَلِيلٌ [التوبة : 38] .

- في حنين : نزل قوله (تعالى) : ويَوْمَ حُنَيْنٍ إذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئاً وضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ [التوبة : 25] .

- وفي غزوة بدر الكبرى : نزل قول الله (عز وجل) : كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وإنَّ فَرِيقاً مِّنَ المُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ * يُجَادِلُونَكَ فِي الحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إلَى المَوْتِ وهُمْ يَنظُرُونَ [الأنفال : 5-6] .

* وفي سرية عبد الله بن جحش (رضي الله عنه) بصائر للذين يرفضون المراجعة في أوساطنا الإسلامية : لقد خرجت هذه السرية بأمر من رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بهدف استطلاع أخبار قريش ، فمرت بها عير لقريش وحدث اجتهاد خاطئ أخرج السرية عن مهمتها الأساسية إلى قتال مع هذه العير في آخر يوم من رجب ، ورجع عبد الله بن جحش بالعير وأسيرين إلى رسول الله ، فماذا قال الرسول -صلى الله عليه وسلم- ؟

لقد قال : ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام .

وحين نزلت آيات الوحي ، كيف عالجت هذه القضية ؟

لقد كانت آيات الله حاسمة : يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وكُفْرٌ بِهِ والْمَسْجِدِ الحَرَامِ وإخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ والْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ القَتْلِ [البقرة : من الآية 217] .

إن أول ما يتبين لقارئ هذه الآيات أن القرآن قد أتى بتقرير واضح بَيَّن أن ما حدث كان خطأً بل وخطأً كبيراً قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ تقرير للخطأ ومطاردة له بين صفوف المسلمين ، ثم جعل القرآن هذا التقرير للخطأ دماً جديداً في جسم المجتمع الإسلامي ، وكشفاً وفضحاً لأعداء الله من المشركين ، وبياناً لجريمتهم الأكبر والْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ القَتْلِ .

وفي غير سرية عبد الله بن جحش كانت المراجعة للخطأ -إذا وقع - هي طريقة القرآن ، وكان الاستدراك له هو طريقة السنة :

وتكفي نظرة في القرآن ، وقراءة لأخبار السير والمغازي لتأكيد ذلك وبيان أن المراجعة الدائمة والتبصير بالأخطاء هي طريقة القرآن والسنة .

المراجعة لدى الرعيل الأول :

وعلى طريق القرآن والسنة سار الأئمة من سلف هذه الأمة : فكان منهجهم الفكري وواقعهم العملي هو الحض على المراجعة والنقد الذاتي والدعوة إليهما ، بل كانت هذه المراجعة هي صفتهم التي تميزهم عن أهل الأهواء كما أخبر عبد الرحمن بن مهدي أحد شيوخ الشافعية وغيره : (أهل العلم يكتبون ما لهم وما عليهم، وأهل الأهواء لا يكتبون إلا ما لهم) [*] .

ولذلك وجدنا أهل الحديث الذين أخذوا على عاتقهم المحافظة على سنة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يضعون أصول الجرح والتعديل ، ذلك العلم الذي لا يخرج عن أن يكون لوناً من ألوان النقد الذاتي والمراجعة للرواة .

ويماثل الجرح والتعديل في الحديث ، واجب (الحسبة) الذي يهدف إلى حفظ الشريعة والأخلاق في المجتمع الإسلامي ، ويراقب فاعليتها في حياة المسلمين .

وهكذا وجدنا العلماء في كل عصر ينبهون على المغالطات التي تحدث في الأمة سواء أكانت من المبتدعة أو غيرهم .
وإذاً فالمراجعة والنقد الذاتي واجب شرعي لا يملك المسلم إزاءه اختياراً ، وضرورة دعوية وحركية لمتانة الصف الإسلامي وصلابة الأرض التي يقف عليها.
ومن هنا وجب علينا أن يكون عندنا من رحابة الصدر وسعة الأفق ما يجعلنا قادرين على هضم الانتقادات والمراجعات ووضعها في مكانها السليم اقتداء بأئمتنا من سلف هذه الأمة .

حتى تنجح المراجعة ماذا يلزمها ؟

ولكي تكون المراجعة والنقد الذاتي جزءاً من أعمالنا ، وطريقاً إلى مواجهة ذواتنا بعيداً عن الاندفاعات والظنون ، وسبيلاً إلى النمو السليم لأعمالنا لا بد أن يتوفر فيهما عدة أمور ، منها :
1- الإخلاص والكفاءة : حتى لا تكون المراجعة والنقد جهوداً عرجاء لا تمشي على رجلين لابد من شرطين أساسيين ، هما : (الإخلاص) و (الكفاءة) ؟ !
* فأما الإخلاص : فهو إيثار الحق على كل الخلق في نقد الأعمال وتقويم المواقف ، بحيث يكون شعار النقد ﴿ وإذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا ﴾ .
* وأما الكفاءة : فهي امتلاك المعايير الدقيقة للنقد والمراجعة من الكتاب والسنة ، والإحاطة بالواقع مع استحضار تجارب الماضي وخبرات السابقين . ولا يغني شرط من الشرطين عن الآخر ؛ إذ لو توفرت (الكفاءة) وافتقد (الإخلاص) تحول النقد إلى لون من ألوان الدجل الفكري الذي يضر أكثر مما يفيد ! ! وأمّا إذا توفر شرط (الإخلاص) دون توفر شرط (الكفاءة) والقدرة على المراجعة والنقد : تحول النقد إلى لون من ألوان الألعاب الصبيانية التي لا تقوّم اعوجاجاً ولا تُصلح فساداً ، وإذن : فلا بد من توفر شرطي الإخلاص والكفاءة ليؤدي النقد دوره في ترشيد العمل ودفعه إلى النمو السليم .
2- نقد الذات لا نقد الآخر : الناقد الحق ليس من يرى القشة في عيون الآخرين ، ويغفل عن العود في عينيه ، وليس من يسكت عن الجرائم الكبيرة في فصيله الإسلامي ، ويطارد الهفوات في الفصائل الأخرى ، وإنما الناقد الحق هو من يعكف على الذات فيربيها على أمر الله ويأخذها بشرعته (سبحانه) ، تربية ميدانية من خلال (ممارسة) العمل الإسلامي (ومعايشة) معاناته اليومية ، (واستشعار) التحديات المحيطة به ، فإذا فعل ذلك ، كان نقده أداة تنظيف للوعي والخلق في فصيله الإسلامي -قبل الفصائل الإسلامية الأخرى- ووسيلة من وسائل وقاية الدعوة والحركة الإسلامية من تراكم الأخطاء التي تنفجر في فتن مدمرة تأتي على كيان العمل الإسلامي ! .
3- تحقيق الإصلاح لا ترسيخ الفوضى : من السهل أن ينقد إنسان عملاً ما أو يعدد المآخذ الكثيرة على موقف من المواقف ، ولكن الاختبار الحقيقي هو : هل يملك هذا الإنسان القدرة على تطوير العمل الذي ينقده بحيث يرتقي به إلى الأفضل، ويفتح أمامه المجالات الأرحب والآفاق الأوسع ؟ وهل يقدر هذا الذي ينقد موقفاً ما أن يوجهه إلى كيفية القيام بدور أكبر ووظيفة أشمل ؟ هذا هو الاختبار الحقيقي ! !
إن النقد الصحيح (بِنَاء) و (مشاركة) تحيط بالعمل وتوجهه إلى الأفضل ، وليس مجرد المعارضة التي لا تبتغي إصلاحاً ، وإنما فقط تُرسخ الفوضى .
4- تبادل النصائح لا تبادل التهم : النقد والمراجعة لابد أن يكونا في إطار من الحكمة والصبر ، وفي أسلوب يضبطه قول الله (عز وجل) :

﴿ وقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً .. ﴾ وقوله سبحانه : ﴿ وجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ ذلك أن النقد موقف (نصح) لتبادل الآراء والأفكار ، وليس موقف (عداء) لتبادل الشتم والضرب !

كما أن النقد والمراجعة ليسا وصاية على الآخرين ولا إرهاباً لعقولهم ، وإنما هما محاولة للتعرف على ما في ممارساتنا من خلل وخطأ للرجوع عنه ، واكتشاف ما فيها من صواب للاحتفاظ به وتنميته .

5- علانية النقد لا إسرار النصيحة : تختلف طريقة مناصحة الفرد عن طريقة نقد ومراجعة أعمال الجماعة ، فالأولى : يجب أن تتم في السر وإلا تحولت إلى لون من ألوان التشهير ، وأما الثانية : فلابد أن تتم بشكل علني ليراها الجميع ، ويقوم الجميع بتصويبها ، إن النقد الذاتي والمراجعة ليسا مجرد النجوى المحدودة التي يقوم فيها الناقد بالإسرار بالأخطاء إلى أخيه المجتبى في خلوة حميمة ، وإنما النقد إعلان مشهود عن الخطأ على رؤوس الملأ ، إعلان يتمتع بصراحة الأسلوب ، ووضوح الأفكار مع الاحتفاظ في ذات الوقت بالهدوء الضروري في محاصرة الظواهر السلبية حتى لا يضيف إليها النقد ظواهر سلبية أكبر وأخطر . **هنا قد نسمع مقولة يرددها بعضهم مفادها أن النقد بهذه الصورة يقود إلى الفرقة وخلخلة الصفوف الإسلامية ؟ ! .**

وبادئ ذي بدء ، نحن لا نشك في (إخلاص) من يرددون هذه المقولة ، ولكنا نعتقد أنهم كالأم التي تصل محبتها لوليدها إلى عدم تقويم سلوكه وتربيته على تحمل المسؤولية ، فتصنع منه إنساناً عاجزاً هشاً ، بل قد تؤدي محبتها له إلى موته لأنها تخشى أن تذهب به إلى الطبيب فيصف له دواء مراً وحقناً مؤلمة .

نعم ، إن النقد الذاتي والمراجعة هما الدواء لعملنا الإسلامي من أمراضه ، وهما التطعيم الذي يقيه - بإذن الله - من الإصابة بتلك الأمراض في المستقبل ، وإذا كان لهذا الدواء بعض الآثار السلبية فإن هذا لا يعني أن نترك مرضانا بغير علاج حتى يفترسنا المرض ويقضي علينا .

فإن قال قائل : إن الفرقة ليست الأثر السلبي الوحيد ، بل هناك ما هو أخطر، إن النقد الذاتي والمراجعة يكشفان عوراتنا أمام أعدائنا المتربصين !

قلنا : إن هذه المقولة تفترض في أعدائنا الغباء المحكم والجهل التام ، بينما الحقيقة أن خصومنا يعرفون عنا ما قد يفوق -أحياناً - ما نعرفه نحن عن ذواتنا ، لسبب بسيط وهو أنهم يعلمون أن في غفلتهم عنا سقوطهم ، وهم حريصون على عدم السقوط .

إن التستر على الأخطاء بدعوى عدم خلخلة الصفوف أو تبصير الأعداء بمواطن الضعف هو في حقيقته الأمر الخطير والمفسدة العظيمة ، ذلك أن دراسة الفشل تفيدنا أكثر مما يفيدنا نصف نجاح خداع يُبْقي على عوامل الفشل التي لا تُنْتِج في النهاية إلا السقوط والتوجه نحو السراب .

إن غياب المراجعة والنقد الذاتي تَسبب في كثير من المرات في خروج قطار الحركة الإسلامية والدعوة الإسلامية على وجه العموم عن طريقه ليسير بطريقة عشوائية أو بغير سبيل وطريق دون أن يجد من يعدل انحرافه ويصوب أخطاءه حتى لا تتكرر الكوارث ، ونكتفي جميعاً بالشكوى من تكرار الكوارث وتجارب الفشل ، وكأن الشكوى هي العلاج ! !

إن أي طريقة في العمل الإسلامي لا يجب أن تكون منديلاً على أعيننا يمنعنا من إعادة النظر فيها ومراجعتها في أي لحظة نريد ، فإذا كشفت لنا مراجعتنا عن أخطاء ارتكبناها ، فلنعلم أن الاعتراف بالأخطاء لا ينتقص من الذات وإنما يؤدي

إلى تزكيتها ، ويحول دون تدسيتها ، وأن الندم على الأخطاء يكون دائماً هو الحافز على مواصلة السير بتصور كثر وضوحاً وأقل أخطاءً .

إنه ليس من الصواب - ولا من الممكن - أن نعبر آفاق المستقبل ونخوض غماره دون أن نعي جيداً أحداث ماضينا ودروس حاضرنا ، ولن نقدر على ذلك إلا عبر (المراجعة) للماضي (والنقد) للحاضر ، فمتى ندرك أن وعينا بدروس الماضي ونقدنا لصفحة الحاضر لا تعني بأي حال الرجوع عن أهدافنا الصحيحة ، وإنما هي (مراجعة) لا (رجوع) ؟ !

هدية -صلى الله عليه وسلم- في زكاة الفطر

فرضها رسول الله -صلى الله عليه وسلم- على المسلم ، وعلى من يُمُونه من صغير وكبير ، ذكر وأنثى ، حر وعبد ، صاعاً من تمر ، أو صاعاً من شعير ، أو صاعاً من اقط ، أو صاعاً من زبيب ، عن أبي سعيد الخدري قال : (كنا نخرج زكاة الفطر صاعاً من طعام أو صاعاً من شعير أو صاعاً من تمر ، أو صاعاً من أقط ، أو صاعاً من زبيب) ، أخرجه البخاري 3/294 ، ومسلم 985 .

(زاد المعاد ج2 ص 19)

(*) اقتضاء الصراط المستقيم ، ص 7 .

الورقة الأخيرة

الخروج عن النص

د . محمد البشر

(توظيف الكلمة) وسيلة قديمة قدم الأمم والحضارات البائدة التي جاء ذكر بعض منها في القرآن الكريم ، والتعبير القرآني عن (توظيف الكلمة) جاء بسياق قصصي مختلف ، فقد تحدث القرآن في غير موضع عن الكيفية التي لجأ إليها الطواغيت في تضليل الأمة ومخادعة الرأي العام .

فقد قال فرعون في محاولته وأد الحركة الإصلاحية والتعتيم على الرسالة السماوية : ﴿ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى ولْيَدْعُ رَبَّهُ إنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الأَرْضِ الفَسَادَ ﴾ [غافر : 26] ، ومن يقرأ هذه الآية ويتدبر مضمونها ويتأمل معناها ويعي مغزاها ، يدرك أن هذه الآية - كغيرها من آيات القرآن الكريم - لم تنزل لتحكي عن فرعون بشخصه من أجل الإخبار فقط ؛ بل لاستلهام العبرة والتدبر في المعنى الذي جاء في سياق هذه الآية .

ومن المعاني المستخلصة من ركوب الظالمين مطية الدعوة ، وضعهم أعواناً يفكرون نيابة عنهم ، وينطقون بألسنتهم ، ويُحَسِّنون صورتهم ، وتتنوع وسائلهم بحسب ما هو متوفر عندهم ، ولن ندخل في تحليل تاريخي من أجل بيان الفرق بين ماهية الوسيلة التي لجأ إليها فرعون في محاولته إيصال رسالته إلى قومه - التي ذكرت في الآية الكريمة السابقة - وبين الوسيلة الإعلامية المعاصرة من حيث القوة والنفاذ والسطوة والتأثير ، فالعبرة بالمعنى المراد وليس بالكيفية التي يتحقق بها هذا المعنى .

ولذلك نقول : إن معنى أن يتحول الظالم إلى داعية للإصلاح هو معنى يتجدد في كل زمان ومكان ، لكن الفارق الجوهري بين الماضي والحاضر هو أن الوسيلة الإعلامية المسلطة على شعوب هذا الزمان قد نجحت وتفوقت بشكل مذهل في نقل هذا المعنى والترويج له ، وأدى القائمون عليها الدور الذي قضى بهم بكل دهاء ومكر خرج في أحيان كثيرة عن (النص) المكتوب الذي قضى مُعدوه سنين عدداً من

أجل وضع استراتيجية فاعلة لهذا السيناريو الذي تكبدوا من أجله كل العناء .
وبعد ذلك كله يخرج الإعلاميون عن النص بعد أن خامرت عقولهم نشوة (الانتصار) بما يزيفونه ، حتى أوجعوا الأمة بضربها في عقيدتها ودعوتها ، وكل ذلك (وعين الرضا عن كل عيب كليلة) .

فضل صوم ست من شوال.

أخرج الإمام مسلم في صحيحه . عن أبي أيوب الأنصاري -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- (من صام رمضان ثم أتبعه ستا من شوال . كان كصيام الدهر)

(صحيح مسلم ج2 ص 822)

تمت بعون الله والحمد لله رب العالمين